الهيمنة الأمريكية على المنظمات الدولية

التوحيد



القلوب المضيئة



القتل الأسري
الأسباب والعلاج

- العقول الفقهية ووظائفها
- حادثا الرجيع وبئر معونة
- عقد الأخوة الصحيح لا ينقطع على طول الزمان الفسيح



تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ❁ العدد ٥٦٦ السنة الثامنة والأربعون - صفر ١٤٤٠هـ ❁

الثمن ٢ جنيهات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

جماعة أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز

جمعية أنصار السنة المحمدية

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. مرزوق محمد مرزوق

محمد عبد العزيز السيد

إدارة التحرير

٨ شارع قولة عابدين - القاهرة

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

المركز العام

WWW.ANSARALSONNA.COM

هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير

GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات

ت: ٢٣٩٣٦٥١٧

ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

السلام عليكم

احذر أيها المفَرِّط

إلى المتساهلين في أكل الحرام، وشرب الحرام، وجمع المال من الحرام.

إلى المفرطين في مراقبة ألسنتهم عن قول الزور وفحش الكلام، والخوض في الأعراض، والغيبة والنميمة بين الأنام.

إلى المسرفين في اتباع الشهوات، والوقوع في الشهوة الحرام، احذروا ما حذر منه سيد البشر صلى الله عليه وسلم في قوله: «إن الدنيا خضرة حلوة، فمن أخذها بحقها بورك له فيها، ورُبَّ متخوض فيما اشتهت نفسه ليس له إلا النار يوم القيامة». فقد جاع رسولنا صلى الله عليه وسلم وأصحابه كثيرًا وحفروا الخندق وهم يربطون الحجر على بطونهم. فكم من أناس طاعمين منعمين في الدنيا، لكنها نفوس جائعة عارية يوم القيامة!! وكم من مكرم لنفسه في الدنيا وهو مهين لها في الآخرة!! وكم من شهوة في ساعة أورثت ندمًا وحزنًا طويلاً!! فاحذر أيها المفرط.

التحرير

مطابع الأهرام التجارية قليوب - مصر

رئيس التحرير:
جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:
حسين عطا القراط

في هذا العدد



سكرتير التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

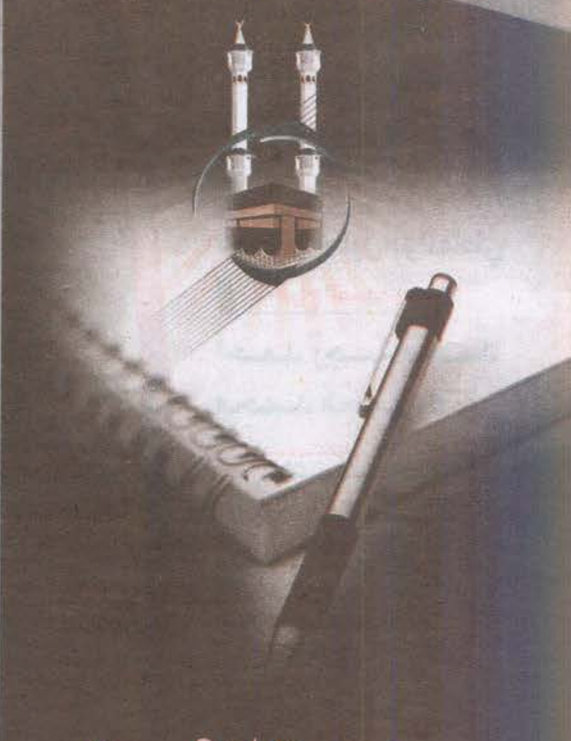
الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيها بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد، على مكتب بريد عابدين، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.
٢- في الخارج ٣٠ دولارا أو ١٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة، باسم مجلة التوحيد ـ أنصار السنة حساب رقم/ ١٩١٥٩٠

ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا دولاران، أوروبا ٢ يورو



مسئولية الأسرة نحو تربية الأبناء

الدكتور فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين رحمه الله
الرئيس العام الأسبق لجمعية أنصار السنة المحمدية

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على إمام النبيين وخاتم المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين.

فالله سبحانه تفضل فربى العالمين بقدره وشرعه، فربى الأبدان وأحياها بالماء الذي أنزله من السماء، وبما أنبت به في الأرض من زخارفها ما اتخذه الخلق غذاءً للأبدان، ولباسًا يواري السوآت، ومساكن تأويهم من كل ما يؤذيهم؛ من حر وقر، وتقيهم من دواب الأرض، وربى الأرواح بالشرع الذي بعث به أنبياءه ورسله، فكان الإيمان قائدهم يملأ قلوبهم، فتعمل به جوارحهم، ويحكم سلوكهم، فلا يأكلون مما خلق الله بقدرته، إلا ما أحل الله بشرعه. ولا يلبسون على أبدانهم مما خلق الله بقدرته، إلا ما أحل الله بشرعه. حتى الألسنة لا تنطق، والأقدام لا تخطو، والأسواق لا يتعاملون فيها إلا بما شرعه الله تعالى بوحيه سبحانه.

وكان الإسلام آخر رسالات الله إلى أهل الأرض قد جمع بين التربيتين «القدرية، والشرعية» الخالصة التي تحكم الأسرة، وهي مؤسسة فطرية محكومة بالأحكام الشرعية، وفي المسجد وهي المؤسسة الشرعية الخالصة التي تحكم الأسرة والأسواق وسائر المؤسسات التي توجد في المجتمع المسلم.

قال الله تعالى: «فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ
(٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم
مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) وَالَّذِينَ
كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ

حِسَابَهُۥ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ» (النور: ٣٧- ٣٩)، فهذه المساجد في رسالتها، وهي مؤسسة تربوية شرعية.

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء». ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ» (الروم: ٣٠)، وهذه الأسرة في بنائها وهي مؤسسة تربوية فطرية ينظمها شرع الله الذي أنزله.

لذا كانت مهمة التربية في الإسلام مهمة بيوت ومساجد، ولا تسقط أبدًا عن كاهل الوالدين؛ هذا ما أدركه المسلمون في أول أمرهم منذ عهد الصحابة الكرام، فاعتنوا بأبنائهم في تربية عقولهم وأجسامهم وغرس الإيمان في قلوبهم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد روى البخاري حديثًا عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أصحابه: «أخبروني بشجرة تشبه المسلم...» حتى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هي النخلة». وكان قد وقع في نفس ابن عمر أنها النخلة، فلما حدث أباه عمر بن الخطاب بما وقع في نفسه، فقال عمر: لأن تكون قلتها أحب إليَّ من كذا وكذا. فكان فرح عمر بعلم ابنه أكثر من فرحه بشيء غيره.

كانت بيوت الصحابة تُخرِّج العلماء من الأبناء؛ مثل: خارجة بن زيد بن ثابت، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن المسيب، وكلهم من أبناء الصحابة تخرجوا في بيوت الصحابة، فكانوا من فقهاء المدينة السبعة، بل تخرج الموالي في البيوت ففازوا وسبقوا العلماء مثل: سليمان بن يسار الذي كان مولى لميمونة أم المؤمنين، ونافع الذي كان مولى لعبد الله بن عمر، وكريب وعكرمة كانا من موالي عبد الله بن عباس، وزاد بعضهم على ذلك مثل عروة بن الزبير الذي كانت عائشة خالته وكذلك القاسم بن محمد كانت عائشة عمته، وسعيد بن المسيب الذي كان أبو هريرة والد زوجته، بل هذا عبد الله بن محيريز الفقيه الزاهد المحدث تخرج في بيت أبي محذورة الذي كان زوجًا لأمه بعد موت أبيه.

فكانت العلاقات الفطرية من بنوة وأخوة وأمومة وخؤولة وعمومة ورق وولاء ومصاهرة أسبابًا لنقل العلم، فكانت البيوت منارات العلم استضاءت به ونقلته من الآباء للأبناء وللأحفاد، حتى صار كثيرًا ما يروي عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، ويروي بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري عن أبيه عن جده، وغير ذلك من الأمثلة، بل ومن طرائف ذلك ما رواه الآباء عن الأبناء، كل ذلك لأن العلم كان يتدارس في البيوت، وهذا أمر تربوي هام أن صارت البيوت هي محاضن العلم، حيث يمتزج فيها العلم بالعمل والخلق، فيتخرج فيها العلماء العاملون والحافظون الفاهمون، فيكونون مسلمين قولاً وعملاً.

وإن آفة العصر ظَنُّ الكثير من الناس أن كسب المال هو مهمة الوالدين، فيجتهد فيه الرجل ليله ونهاره، ثم لا يجد ذلك وافيًا فيخرج زوجه طلبًا لكسب المال، فمن عجب أن تخرج الأم تربي الدجاج في مزارعه وتنشغل بها عن تربية الأبناء في بيتها، ويعهدون إلى محاضن وحضانات تربي أولادهم، حيث شغلهم عنهم

الدجاج والحيوان، فيفقد الولد الارتباط التربوي والتواصل العلمي مع الآباء، فبعد أن كان المثل العربي قديمًا (الولد سر أبيه)، صار المثل الدارج اليوم: (يخرج من ظهر العالم فاسدًا)، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا يدعونا إلى إعادة النظر في الأسلوب التربوي المتبع عندنا اليوم، فالله جلت قدرته يقول: « وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ » (النحل: ٧٢)، وهذا يوضح منهج الإسلام في إبقاء الأبناء والأحفاد في كفالة وتربية الآباء والأجداد أسرة واحدة داخل البيت فيتوارثون العلم النافع والخلق القويم؛ لذا فإن السعي في مؤتمرات السكان والمرأة والأسرة كلها تهدف إلى تفتيت تلك الصلة؛ حتى لا يتخرج الأولاد على منهج الآباء، ويزيد على ذلك مناهج الإعلام ووسائله التي تريد أن تنتزع فكر الأبناء من الآباء، فتقدم إليهم موائد تربوية يدسون فيها السم الزعاف في الروايات الهدامة والكتب المطبوعة، يمنعون الصلة بين الآباء والأبناء؛ لذا فإنك ترى التفاهة في دور الآباء في المدارس والعلاقة بينها وبين البيوت، فمجالس الآباء تخلو من الآباء، وإن حضروا فلا يشركون في دور تربوي مؤثر.

فالتربية في هذا العصر هي أمضى سلاح يُحارب به أهل الأرض بعضهم، فيبثون من خلال قنوات البث من التلفاز وشبكة الإنترنت وبرامج الحاسب الآلي، فضلاً عن دور السينما ودور النشر والفيديو من السموم التربوية والمهلكات الفكرية، والأمة التي تحافظ على أبنائها من هذه الأوبئة الفتاكة هي الأمة التي تسود غيرها وتعلو فوقها، مهما قل عدد أفرادها؛ لذا فإن اليهود يبثون هذه السموم ويشجعون على تجارتها، ويحافظون على أبنائهم ونسائهم منها، ثم هم يحرصون على تصديرها مع كل شر إلى المسلمين، فترى الجوائز تعطى لكل فكر هدام، وكل من دافع عن فضيلة يوصم بأنه محاكم تفتيش، أو عود إلى الظلام وتكميم للأفواه. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولقد كان للمسجد والأسرة دورٌ متحدٌ، فكان كلٌ منهما مدرسة في عصور ازدهار المسلمين، وكانت أروقة العلم على اتصال بالمسجد؛ تحدد أوقاتها الصلوات في بدء الدراسة ونهايتها، وفيها مجالس العلم، ويجاز فيها العلماء، ويجاور طلبة العلم في المساجد الكبيرة، فتكون فيها حياتهم، فكان ذلك في المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، والمساجد الجامعة الكبيرة في كل أنحاء العالم الإسلامي، ولم تكن المدرسة منفصلة عن المسجد ولا عن البيت.

وأصبحت العلاقة الآن بين المسجد ودور العلم أوهى من خيط العنكبوت، فالمدرسون منهم من لا يؤدي الصلاة، ومن الآباء كذلك، فكيف يتخرج من بين هؤلاء المسلم النابغ الحافظ لدينه العامل به، فالمجتمع يعامل الدجاج في تربيته والماعز والأبقار معاملة مثل التي يعاملونها للإنسان؛ يبنون الأجساد، ويشبعون الشهوات، ولا يعتنون بالأرواح، فيتخرج البشر مثل ما يتخرج البقر، فيقبلون الاحتلال والهوان؛ يصنعونه بأيديهم في بلادهم، ويمكنون لعدوهم من ديارهم دون حاجة إلى جيوش جرارة، ولا قنابل فتاكة، قتلوا فيهم الأرواح، فصاروا عبيدًا لكل من استعبدهم، وأسرى مخمورين عند كل من تسلط عليهم، وهم يظنون أنهم أحرار، وهم- في الحقيقة- لا يملكون في بلادهم قولاً أو قرارًا. والله المستعان.

الهيمنة الأمريكية على المنظمات الدولية

الحمد لله الذي شمل الأنام بواسع رحمته، وصرَّف العالم ببالغ حكمته، لا يَشغَلُهُ شأن عن شأن، وهو الحكيم الخبير.

وبعد:

فإن الحضارة الإنسانية لا تبلغ أوج عزها، ولا ترقى الى عزِّ مجدها إلاَّ حين يعلو العدل تاجها، ويتلألأ به معرفتها، تبسُطهُ على القريب والبعيد، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والحاضر والباد، العدل الذي اتفقت على حُسنه الشرائع الإلهيَّة، والعقول الحكيمة، والفِطر السويَّة، وتُمدح بادِّعاء القيام به ملوك الأمم وقادتها، وعظماؤها وسادتها؛ فالعدل دعامة بقاء الأمم، ومستقر أساسات الدول، وباسط ظلال الأمن.

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

وفي ظل الخلل والظلم الذي يهيمن على منظمة الأمم المتحدة والتي انعقدت جلساتها في الآونة الأخيرة في نيويورك، انتظرت منها الشعوب أن تحاول خلال اجتماعها إصلاح هذا الخلل الكائن منذ نشأة هذه المنظمة، والتي تعدُ إحدى صور الهيمنة من القوى المتصارعة، ولم تصدر قرارًا قابلاً للنفاذ إلا على تلك الدول الضعيفة، وتحت تأثير القوى العظمى التي يبحث كل عضو فيها عن تأكيد نفوذه، والبحث عن تحقيق مصالحه وأغراضه، وتحالفاته، وبدلاً من ذلك وجدنا الرئيس الأمريكي، ورئيس وزراء الكيان الصهيوني يتبارون في إظهار هذا الخلل، من خلال منبر الأمم المتحدة (الأمريكية)، فقد توعد ترامب مهددًا الجميع بالويل والثبور إن لم يستجيبوا لقراراته العنترية لنهب ثروات البلاد التي يقدم لها الحماية، كما يدَّعي، متِّهمًا الدول البترولية، ودول الأوبك بأنها نهبت باقي دول العالم، ونحن نقوم بحمايتهم، وهذا ليس بالشيء الجيد بالنسبة له، بدلاً من أن يقدِم خطابًا يضع فيه تصورًا عادلاً للقضايا المشتعلة التي خربت الأفكار، ودمرت الديار، وشردت شعوبًا ودولاً في ظل عصبة دولية ظالمة لا يهمها إلا تحقيق مصالحها، ونيل أغراضها، وفي سبيل تحقيق ذلك تندثر القيم والمبادئ، وتستنزف ثروات الشعوب، وتفتّت أوصال الدول، والأوطان والشعوب العربية والإسلامية الجاثمة تحت وطأة تلك الدول، ماثلة أمام أعين تلك المنظمات التي ماتت ضمائرها، وتلطخت أيديها بدماء تلك الشعوب، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الأمم المتحدة.. والنشأة الظالمة

مع بداية القرن العشرين كان العالم يموج بصراعات، وظهرت في أوروبا كتلتان وتحالفان أدَّيا الى قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، وقتل فيها ما يربو على عشرين مليونًا بخلاف الجرحى والمشرَّدين، ودُمرت بلاد بأكملها، وبدأت الأصوات التي تنادي بوضع حد لتلك الصراعات، ومنع نشوب حروب أخرى، وتحمَّس للفكرة الرئيس الأمريكي «ويلسون»، وكتب المبادئ الأربعة عشرة للسلام، وأعلن عن إنشاء

منظمة سلام دولية بالتعاون مع الدول الكبرى عام ١٩١٩م، وتأسست عصبة الأمم وكان مقرها في جنيف.

والغريب أن أمريكا لم تُوَقِّع على ميثاق عصبة الأمم؛ لأنها رأت هيمنة القوى الأوروبية عليها مع أنها صاحبة الفكرة، وقد وُلِدَتْ الفكرة وفي أحشائها صراعٌ للقوى على المكاسب بعد الحرب، فقررت ما يسمى بالانتدابات، وهي صورة من الاستعمار بشكل يغطيه الكذب والزيف والتآمر والظلم، وصورة من الاحتلال المقنن التي فيها صار الانتداب البريطاني على مصر، ولم تَحُلّ عصبة الأمم الصراعات، بل سكتت عن كل القوى الاستعمارية وعن سباق التسلح؛ حتى وصلت للحرب العالمية الثانية، وأضاعت عصبة الأمم هيبتها، الأمر الذي دعا دول التحالف في العام ١٩٤٣م إلى إنشاء هيئة جديدة تحلّ محل عصبة الأمم، وهي الأمم المتحدة؛ لكي تصبح تفصيلاً محكمًا على تلك الدول الاستعمارية.

وقد وضعت القوى العظمى القوانين التي تضمن هيمنتها على النظام العالمي الجديد؛ الذي يفرض الاستيلاء على ثروات تلك الدول، واحتلال أراضيها، وكان أول قرار لفرض تلك الهيمنة هو أن يكون هناك أعضاء دائمين في مجلس الأمن وهم: إنجلترا، والاتحاد السوفييتي، وأمريكا، والصين، وفرنسا، ومنحهم حق استخدام الفيتو (حق النقد)؛ لوقف أي قرار غير راضين عنه، وهذا يعني أنها قد وُلِدَت هذه المنظمة بمصداقية غير حقيقية؛ لتكون عصبة دولية بلا ضمير ولا أخلاق ولا قيم.

أما ما حدث من أمريكا فحَدِّث ولا حَرَج، وحتى هذا اليوم في عهد ترامب، فبلد الحريات التي جمعت العلماء لصنع القنبلة الذرية، وحتى يتم إرهاب العالم وإقناعه بأنها هي القوة العظمى قام الرئيس الأمريكي الأسبق «ترومان» باستخدام القنبلة الذرية عندما ضرب «هيروشيما» عام ١٩٤٥م، فأباد في ثوانٍ معدودة ما يزيد على مائة وعشرين ألفًا من البشر، وقد أنفقت على صنع تلك القنبلة ما يقرب من ملياري دولار في ذلك الوقت، وكان هذا بمثابة إنذار للاتحاد السوفييتي الذي قرَّر بعدها (ستالين) توفير جميع الإمكانيات لصنع القنبلة الذرية الروسية، وأطلق على هذا المشروع المشكلة رقم واحد، ونجحت في صنع أول قنبلة ذرية عام ١٩٤٩م.

وبدأ الصراع النووي، ثم انتقل السباق إلى حرب النجوم لتدمير الأرض، بل والنجوم أيضًا، ولم تكتف أمريكا بهذا الدمار، بل شنَّت حربًا على فيتنام راح ضحيتها الملايين، ثم دخولها أفغانستان، والعراق وعملت على تدمير بلاد مسلمة بكاملها، وقتلت الكثير، وشردت الملايين، كل هذا تحت مظلة القوانين الدولية الظالمة والقرارات الأممية التي صدرت ضد الدول العربية أو الآسيوية، وخاصة الإسلامية منها.

وجيشت الجيوش، وهبت الدول الاستعمارية لتأديبها وإبادتها وتخريبها، مع سيل من القرارات الأخرى يُستخدم ضدها الفيتو حتى لا تَصْدر، أو تصدر ويكون مصيره سلة المهملات، ويطوى في طي النسيان، وهي أكثر القرارات التي صدرت ضد الكيان الصهيوني المحتل منذ عام ١٩٤٨م حتى الآن، وما يزال الشعب الفلسطيني يئن تحت وطأة الاحتلال، ويعاني شعب بأكمله، ناهيك عن شعوب المنطقة بشكل مباشر أو غير مباشر من مصائب الاحتلال، والتهويد اليومي والمستعمرات والاستيطان للأراضي الفلسطينية أمام أعين العالم الصامت الذي عَمِيت بصائره، وماتت ضمائره، وتبلدت وتجمدت مشاعره!!

مقادير الناس بيد الله ووفق حكمته

إن الله جل جلاله، وعلت حكمته، بيده ملكوت السماوات والأرض فله الملك كله يقدر ما يشاء على عباده، فيفيض عليهم بالخيرات، ويمنع عنهم النكبات، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر على آخرين، وتُبتلى الأمة بابتلاءات تارة بالخير وتارة بالمصائب، وقد ابتليت الأمة في أيامنا هذه بمجيء رئيس أمريكي دأب ومنذ ترشحه لرئاسة أمريكا وهو يدلي بتصريحات معادية ضد الدول العربية والإسلامية بشكل خالَف كل الأعراف والتقاليد التي يتشدق بها من صاغوها، ومن على منبر الأمم المتحدة الأمريكية يتبارى بها الاستعماريون الجدد، يتوعد ترامب ويهدد كل

من يقف حجر عثرة في سبيل تحقيق مآربه وأهدافه وطموحاته في ظل رئيس أمريكي ليس سياسيًّا محنكًا، ومن خارج الطبقة السياسية، بل رجل أعمالٍ غير ناجح.

وبغض النظر عن الشعارات الشعوبية من نحو أمريكا عظيمة من جديد «ومحاربة الهجرة»، ورفع شعار أمريكا أولاً، فإن الملاحظ أن الفشل الأكبر يتمثل في إقناع حلفاء أمريكا وأتباعها أن أمريكا بلدٌ يعتمدُ عليه في بناء علاقات مستقرة سياسيًّا واقتصاديًّا بعيدة عن الفوقية والاستعلاء، فقام بإصدار الأوامر بما يجب أن تقوم به بعض الدول، أو الانسحاب من الاتفاقيات والتعهدات الموقعة، والامتناع عن دفع الحصص المقررة عليها للأمم المتحدة ومنظماتها كاليونسكو، والأونروا في فلسطين، والالتفاف على تعهداتها لتلك المنظمات، بل وإصدار التهديدات للمنظمات الأخرى كمنظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) بضرورة الالتزام بخفض أسعار بترولها، وضخ كميات كبيرة بأوامر (ترامبية) لإغراق الأسواق بالبترول والوصول إلى مستويات متدنية في الأسعار وإلا سترفع حمايتها عن تلك الدول، وعدم التوقيع على بيانات القمم المشاركة فيها.

وقد أعلنت أمريكا حربًا تجارية عن طريق رفع الضرائب على الواردات، بل والتهديد بخنق بلدان كانت حليفة إلى عهد قريب، مما سيدفع هذه البلدان للبحث عن مظلة للتجارة أكثر أمنًا، ورفع شعار استبعاد الدولار من تسعير السلع، وهذا في حالة تنفيذه ونجاحه يُعد أكبر ضربة يمكن أن تُوجَّه لأمريكا، فمن يتباكى على أن الدول تَسرِقُ أمريكا، يتناسى أن الدول التي تبيع ثرواتها وإنتاج مصانعها وجهد عمالها بورق الدولارات التي تنتجه مطابعها، ليس له رصيد سوى قوة أمريكا وسطوتها وبسط نفوذها وقوتها وسيطرتها.

وفي ظل التعنُّت وفرض الهيمنة والابتزاز الذي طال الكثير من الدول، تأتي المفارقة أن تجبر الدول على الابتعاد عن أمريكا، ومحاولة بناء تكتلات اقتصادية وسياسية وعسكرية بسبب تصرفات أمريكا المتغطرسة، فالرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون يقول: إن بلاده تسعى لإقامة شراكة استراتيجية مع دول مثل تركيا وروسيا، لصالح علاقة مستقرة مع الاتحاد الأوروبي، فهل يأتي اليوم الذي تجد فيه أمريكا نفسها وحيدة نتيجة سياسات صنع العداء، وإشعال الفتن في المجتمعات، والتي ارتدت حتى على الداخل الأمريكي، ونسوق منها قضايا المهاجرين والسود، والجدار الحاجز مع المكسيك، ورفع الجمارك على الواردات من كندا، والصراع السياسي والاقتصادي مع دول الاتحاد الأوروبي والصين، وتسخين العلاقات مع تركيا، وأخيرًا التخبط والحيرة في إدارة ملف العلاقات الاستراتيجية مع الروس.

وهي تساؤلات لن تجد لها إجابات معلنة؛ لأن أمريكا تفهم أن استعداء الروس الذين بدأوا بالخروج عن النص والدخول معهم في صراع سيكون ثمنه باهظًا قد يُفقد أمريكا مكاسبها أيام تفردُّها، ومعاداة البلدان الإسلامية في العالم أجمع، جزاء لوقفته المخزية من قضية المسلمين في فلسطين والقدس، والانسلاخ من التعهدات الأمريكية، ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس في سابقة لم يُقْدم عليها رئيس أمريكي من قبل، والاعتراف بالقدس عاصمة أبدية للكيان الصهيوني المحتل، وكل ما يمكن أن يصبّ في مصلحة اليهود مهما كلفه ذلك من ثمن!!

ويتباهى الرئيس الأمريكي دونالد ترامب أمام اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة بإنجازاته التي حققها منذ انتخابه واصفًا إياها بأنها فاقت كل ما أنجزه سابقوه، فالرئيس الأمريكي له مساره الخاص، وله موجة مختلفة عن الموجة التي تضبط إيقاع العالم، ويبدو أن ذلك لا يعنيه ولا يقلقه، طالما أنه مقتنع بأن مَسَاره هو الصحيح حتى لو هدم كل مسارات العالم!!

روسيا وإسرائيل وأزمة الصواريخ (إس-٣٠٠)

وإذا كنا نستعرض اليوم في حديثنا منظومة الأمم المتحدة الظالمة، فإننا نستعرض نوعًا من تلك المنظومات في صورة أخرى من صور الظلم

والاستبداد واللهث وراء المصالح الخاصة بتلك الدول، وإذا تحدثنا عن روسيا شريكة الولايات المتحدة فيمن لهم حق الهيمنة على المنظمة الدولية بشقيها الجمعية العامة ، ومجلس الأمن، ونذكر مثالاً على ذلك، فروسيا ومنذ تدخلها في سوريا منذ ثلاث سنوات حاولت ألا تثير مخاوف إسرائيل، ولا تريد روسيا أن تكون طرفا في الصراع السوري الإسرائيلي، فهي موجودة على الأرض السورية لبسط نفوذها، وإعلان وجودها، واستجاب بوتن لطلب نتنياهو في العام الماضي بعدم تزويد سوريا بمنظومة صواريخ (إس ٣٠٠)، والتواصل بين القوات الروسية في سوريا والجيش الإسرائيلي لمنع الاحتكاك، وعدم تدخل منظومة الدفاع الجوي والطيران الروسي في منع إسرائيل من شنّ هجمات على شحنات السلاح من إيران إلى حزب الله اللبناني عن طريق سوريا، بل إن روسيا تمنع أي قوات غير سورية من التقدم إلى حدود الجولان، كما عرضت روسيا على نتنياهو التقدم بمبادرة سلام جديدة لتسوية الصراع بين إسرائيل وكل من سوريا ولبنان وفلسطين على أساس قرارات مجلس الأمن، إلا أن إسرائيل أكدت أنها ليست بحاجة إلى مبادرات جديدة.

وكانت انتهاكات الطيران الإسرائيلي للاتفاق مع روسيا تزداد بوتيرة سريعة، ويتسع نطاق الغارات الإسرائيلية لتشمل مواقع عسكرية ومدنية سورية، بينها مراكز أبحاث علمية للجامعات، ومنشآت صناعية، وهو ما أغضب روسيا واحتجت عليه عبر القنوات الدبلوماسية والعسكرية، لكن إسرائيل الملتحفة بلحاف ترامب المدافع عنها بكل قوة، لم تكترث بالاستياء الروسي، وراهنت على أن روسيا لن تتصدى للغارات الإسرائيلية، وأن إسرائيل لا يمكن أن تصمت على الدعم العسكري الإيراني المتزايد لسوريا، وجاء إعلان الولايات المتحدة عن إبقاء قواعدها العسكرية في شرق الفرات بعد القضاء على تنظيم داعش ليزيد الموقف تعقيدًا، فالولايات المتحدة وإسرائيل تسعيان إلى قطع التواصل البري بين العراق وسوريا، وإنهاء أي وجود عسكري إيراني في سوريا قبل استكمال القوات السورية استعادة كامل أراضيها، واستمر الحشد المتبادل بين الولايات المتحدة وإسرائيل من جهة وروسيا من جهة أخرى في سوريا، وتأتي القشة التي قصمت ظهر البعير بإسقاط طائرة التجسس الروسية (أيل ٢٠)، ومصرع خمسة عشر من الطيارين والفنيين الروس المهرة في مجال تشغيل طيارات التجسس المزودة بأحدث التقنيات لتكون أفدح خسارة روسية تتكبدها قواتها منذ تدخلها في الأزمة السورية لتتدحرج الأزمة بين روسيا وإسرائيل.

ولم يقتصر الرد الروسي على قرار تزويد سوريا بأربع منظومات صواريخ (إس ٣٠٠)، ولكنها وافقت أيضًا رغم امتناعها من قبل لصالح الكيان الصهيوني على عدم تزويدها بمثل تلك التقنيات المتقدمة، وأيضًا الموافقة على تزويد سوريا بأجهزة حديثة جدًا لوحدات التشويش الكهرومغناطيسي القادرة على قطع الاتصالات بين الطائرات والأقمار الصناعية ومراكز القيادة مما يجعلها عمياء، بالإضافة إلى ربط منظومة (إس ٢٠٠) السورية القديمة برادارات متطورة تزيد من فعاليتها، إلى جانب تزويد منظومات الصواريخ بأجهزة قادرة على التفرقة بين الطائرات المعادية والصديقة، ونظام إطلاق آلي للصواريخ بمجرد اقتراب الطيران المعادي من الأجواء السورية وهو ما يعني عمليًا إغلاق الأجواء السورية، ليس أمام الطيران الإسرائيلي فقط، وإنما أمام طيران التحالف الأمريكي، وكذلك التركي.

ولا عجب في ذلك فعندما تأتي المصالح يصبح كل شيء مباحًا، فما كان محظورًا بالأمس أصبح مفتوحًا على مصراعيه، من دول الفيتو التي تعيد الاستعمار إلى الدول مرة أخرى، والتخديم على مصالح إسرائيل ما لم يتعارض مع مصالحها، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

نسأل الله جل وعلا أن يُجَنِّبنا المكاره ما ظهر منها وما بطن، وأن يُجَنِّبنا كيد الكائدين، وظلم الظالمين، والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سُورَةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم

الحلقة الثانية عشرة

قال تعالى: « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ (٣٠) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ » **(محمد: ٢٩- ٣١).**

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

قال تعالى: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ».

جَمْعُ ضِغْنٍ وَهُوَ مَا فِي النُّفُوسِ مِنَ الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَالْقَائِمِينَ بِنَصْرِهِ. والمعنى: أيعتقد المنافقون أن الله لا يَكْشِفُ أَمْرَهُمْ لعباده المؤمنين، بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر، وقد أنزل الله تعالى في ذلك سُورَةَ براءة فبيَّن فيها فضائحهم، وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم، ولهذا كانت تسمى الفاضحة. (جامع البيان: ٢٦/ ٦٠).

وَقَوْلُهُ تعالى: «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ» أي: وَلَوْ نَشَاءُ يَا نَبِيَّنَا لَأَرَيْنَاكَ أَشْخَاصَهُمْ فَعَرَفْتَهُمْ عِيَانًا. قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا عَلَى الْمُنَافِقِينَ عَلَامَةً تَعْرِفُهُمْ بِهَا. وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ تعالى ذلك في جميع المنافقين سترًا منه على خلقه، وحملًا للأمور على ظاهر السلامة، وردًّا للسرائر إلى عالمها، «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» أَيْ فِيمَا يَبْدُو مِنْ كَلَامِهِمُ الدَّالِّ عَلَى مَقَاصِدِهِمْ، يَفْهَمُ الْمُتَكَلِّمُ مِنْ أَيِّ الْحِزْبَيْنِ هُوَ بِمَعَانِي كَلَامِهِ وَفَحْوَاهُ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ لَحْنِ الْقَوْلِ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رضي الله عنه: مَا أَسَرَّ أَحَدٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَبْدَاهَا اللهُ عَلَى صَفَحَاتِ وَجْهِهِ وَفَلَتَاتِ لِسَانِهِ. (تفسير القرآن العظيم: ٤/ ١٨٠).

قال البغوي: «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» فِي مَعْنَاهُ وَمَقْصِدِهِ، وَاللَّحْنُ: وَجْهَانِ صَوَابٌ وَخَطَأٌ، فَالْفِعْلُ مِنَ الصَّوَابِ: لَحِنَ يَلْحَنُ لَحَنًا فَهُوَ لَحِنٌ، إِذَا فَطِنَ لِلشَّيْءِ. وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ» (صحيح البخاري ٢٦٨٠).

وَالْفِعْلُ مِنَ الْخَطَأِ: لَحَنَ يَلْحَنُ لَحْنًا فَهُوَ لاحِنٌ، وَالأَصْلُ فيه إِزَالَةُ الْكَلامِ عَنْ جِهَتِهِ، وَالْمَعْنَى إِنَّكَ تَعْرِفُهُمْ فِيمَا يُعَرِّضُونَ بِهِ مِنْ تَهْجِينِ أَمْرِكَ وَأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ وَالاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ، فَكَانَ بَعْدَ هَذَا لا يَتَكَلَّمُ مُنَافِقٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم إِلاَّ عَرَفَهُ بِقَوْلِهِ، وَيَسْتَدِلُّ بِفَحْوَى كَلامِهِ عَلَى فَسَادِ خُلُقِهِ وعقيدته. (معالم التنزيل: ١٦٢/٥).

و«فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» وُجُوهٌ:

١- أنهم اتفقوا فيما بينهم على أن يخاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بألفاظ ظاهرها الحسن وباطنها القبح، كما كان يفعل شياطينهم حيث يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: راعنا، ومعناها: اسمع لنا، ولكنهم يورون بها عن الرعونة، قال تعالى: «مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا» (النساء: ٤٦).

٢- أن يقولوا ما معناه النفاق، كقولهم عند مجيء النصر: إنا كنا معكم، وإن كانت الأخرى قالوا: قد حذرناكم، كما قال تعالى: «الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا» (النساء: ١٤١).

٣-أن يقولوا خلاف ما يعتقدون، كقولهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ» (المنافقون: ١)، واستئذانهم النبي صلى الله عليه وسلم في عدم الخروج للقتال بأعذار واهية، هم فيها كاذبون، كقولهم يوم الأحزاب: «إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ» (الأحزاب: ١٣)، وكقولهم يوم الحديبية: «شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا» (الفتح: ١١)، وكقول الله تعالى عن اعتذارهم يوم تبوك: «وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي» (التوبة: ٤٩).

٤- أن يلحن بعضهم لبعض بكلام لا يفهمه غيرهم.

٥-أن يقولوا: ما لنا إذا أطعنا من الثواب، ولا يقولوا ما علينا إذا عصينا من العقاب، وكان هذا الذي ينبغي منهم. (روح المعاني: ٧٧/٢٦).

وهكذا عرَّف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الصنف من الناس-المنافقين-فلم يخفوا عليه بعد ذلك، وإنما فعل الله تعالى ذلك مع رسوله صلى الله عليه وسلم ليحذرهم، فإن هذا الصنف من الناس أشد خطرا على الإسلام والمسلمين من الكافرين الذين جهروا بكفرهم، لأن المجاهر بكفره قد عرف بعداوته، أما المنافقون فهم من بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويصلون معنا ويصومون، «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ» (البقرة: ٩)، ولهذا قال الله عنهم: «هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ» (المنافقون: ٤)، وجعل الله عذابهم أشد من عذاب الكافرين، فقال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا» (النساء: ١٤٠)، ثم قال تعالى: «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا» (النساء: ١٤٥)، ومعلوم أن النار دركات، أعلاها أهونها عذابا، وأسفلها أشدها عذابا.

وقوله تعالى: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ»: أي فيجازيكم عليها بحسب قصدكم. وهذا على ما قيل وعد للمؤمنين، وإيذان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين.

وقيل: وعيد للمنافقين، وإيذان لهم بأن المجزى عليه ما يقصدونه لا ما يعرضون أو يورون به، واستظهر أنه خطاب عام فهو وعد ووعيد، وحمل على العموم. (روح المعاني: ٧٨/٢٦).

قوله: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ» (محمد: ٣١):

الْبَلْوُ: الاخْتِبَارُ وَتَعَرُّفُ حَالِ الشَّيْءِ. وَالْمُرَادُ بالابْتِلاءِ الأَمْرُ وَالنَّهْيُ فِي التَّكْلِيفِ، فَإِنَّهُ يَظْهَرُ بِهِ الْمُطِيعُ وَالْعَاصِي، والمؤمن وَالْكَافِرُ. وَالْعِلْمُ المذكور في قوله تعالى: «حَتَّى نَعْلَمَ» هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَقَعُ بِهِ الْجَزَاءُ، لأَنَّهُ إِنَّمَا يُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ لا بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ عَلَيْهِمْ. فَتَأْوِيلُهُ: «حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ» عِلْمَ شَهَادَةٍ، لأَنَّهُمْ إِذَا أُمِرُوا بِالْعَمَلِ يَشْهَدُ مِنْهُمْ مَا عَمِلُوا، فَالْجَزَاءُ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ يَقَعُ عَلَى عِلْمِ الشَّهَادَةِ. «وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ» نَخْتَبِرُهَا وَنُظْهِرُهَا. وَبَلْوُ الأَخْبَارِ: ظُهُورُ الأُحْدُوثَةِ

منْ حُسْنِ السُّمْعَةِ وَضِدّه. وَهَذَا في مَعْنَى قَوْلِ الأُصُولِيِّينَ تَرَتُّبُ المَدْحِ وَالذَّمِّ عَاجِلاً، وَهُوَ كِنَايَةٌ أَيْضًا عَنْ أَحْوَالِ أَعْمَالِهِمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، لأَنَّ الأَخْبَارَ إِنَّمَا هِيَ أَخْبَارٌ عَنْ أَعْمَالِهِمْ، وَهَذِهِ عِلَّةٌ ثَانِيَةٌ عُطِفَتْ عَلَى قَوْلِهِ: «حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ»، وَإِنَّمَا أُعِيدَ عَطْفُ فِعْلِ «وَنَبْلُوَ» عَلَى فِعْلِ «نَعْلَمَ» لِلْمُبَالَغَةِ في بَلْوِ الأَخْبَارِ لأَنَّهُ كِنَايَةٌ عَنْ بَلْوِ أَعْمَالِهِمْ وَهِيَ المَقْصُودُ مِنْ بَلْوِ ذَوَاتِهِمْ، فَذِكْرُهُ كَذِكْرِ العَامِّ بَعْدَ الخَاصِّ، إِذْ تَعَلَّقَ البَلْوُ الأَوَّلُ بِالجِهَادِ وَالصَّبْرِ، وَتَعَلَّقَ البَلْوُ الثَّانِي بِالأَعْمَالِ كُلِّهَا، وَحَصَلَ مَعَ ذَلِكَ تَأْكِيدُ البَلْوِ تَأْكِيدًا لَفْظِيًّا. (التحرير والتنوير (١٢٥/٢٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٤/١٦)).

وَظَاهِرُ هَذِهِ الآيَةِ قَدْ يَتَوَهَّمُ مِنْهُ الجَاهِلُ أَنَّهُ تَعَالَى يَسْتَفِيدُ بِالاخْتِبَارِ عِلْمًا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، بَلْ هُوَ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ مَا سَيَكُونُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ.

وَقَدْ بَيَّنَ أَنَّهُ لا يَسْتَفِيدُ بِالاخْتِبَارِ عِلْمًا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ بِقَوْلِهِ- جَلَّ وَعَلا-: «وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (آل عمران: ١٥٤).

فَقَوْلُهُ سبحانه: «وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» بَعْدَ قَوْلِهِ: «وَلِيَبْتَلِيَ» دَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَفِدْ بِالاخْتِبَارِ شَيْئًا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا، لأَنَّ العَلِيمَ بِذَاتِ الصُّدُورِ غَنِيٌّ عَنِ الاخْتِبَارِ.

وَفي هَذِهِ الآيَةِ بَيَانٌ عَظِيمٌ لِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي يَذْكُرُ اللَّهُ فِيهَا اخْتِبَارَهُ لِخَلْقِهِ. وَفَائِدَةُ الاخْتِبَارِ ظُهُورُ الأَمْرِ لِلنَّاسِ، أَمَّا عَالِمُ السِّرِّ وَالنَّجْوَى، فَهُوَ عَالِمٌ بِكُلِّ مَا سَيَكُونُ، كَمَا قَالَ تعالى: «يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا» (طه: ١١٠)، وقال تعالى: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (المائدة: ٩٧).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللهُ عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ» (صحيح مسلم: ٢٦٥٣).

وَعَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ! إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ. سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ». يَا بُنَيَّ! إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي». (صحيح سنن أبي داود: ٣٩٣٢).

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا في جَنَازَةٍ في بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلاَّ وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً». قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلا نَمْكُثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَقَالَ «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ». فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ». ثُمَّ قَرَأَ: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى» (الليل: ٥-١٠). (صحيح البخاري: ١٣٦٢).

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ: جَاءَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! بَيِّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الآنَ، فِيمَا العَمَلُ اليَوْمَ، أَفِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ، أَمْ فِيمَا نَسْتَقْبِلُ؟ قَالَ: «لا، بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الأَقْلامُ وَجَرَتْ بِهِ المَقَادِيرُ». قَالَ: فَفِيمَ العَمَلُ؟ قَالَ زُهَيْرٌ: ثُمَّ تَكَلَّمَ أَبُو الزُّبَيْرِ بِشَيْءٍ لَمْ أَفْهَمْهُ، فَسَأَلْتُ: مَا قَالَ: فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ» (صحيح مسلم ٢٦٤٨).

لطيفة: كَانَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ بَكَى وَقَالَ: اللهم لا تبتلينا فإنك إذا بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا. (الجامع لأحكام القرآن (٢٥٤/١٦)).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



أساسيات أحكام الزكاة

إعداد د. حسين حسين شحاتة

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فالزكاة فريضة مالية، وركن من أركان الدين الإسلامي الحنيف كما تُعتبر الزكاة من مقومات النظام المالي والاقتصادي الإسلامي، حيث تمثل المصدر الأساس في تمويل الضمان الاجتماعي، والجهاد في سبيل الله، كما تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية وتحقيق العزة السياسية، وعندما تخلّى المسلمون عن تطبيقها، ومنعها الأغنياء، ابتلاهم الله بمحق البركة والحياة الضنك، وأساس ذلك قول الله تبارك وتعالى: «وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» (فصلت:٦-٧)، كما حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من منع الزكاة، فقال: «وما منعوا زكاة أموالهم إلا مُنعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا...» (رواه ابن ماجه والبيهقي).

ويحتاج المسلم الذي يريد أن يطهر قلبه ويزكي ماله بأداء الزكاة إلى معرفة أحكامها، ولاسيما وأنه قد ظهرت بعض المستجدات التي لم تكن موجودة في صدر الدولة الإسلامية تحتاج إلى بيان الحكم الفقهي بشأنها، وهذا ما سوف نتناوله؛ حيث نبين أحكام الزكاة بصفة عامة من حيث فرضيتها وحكم جاحدها، وحكم مانعها، وعلى مَنْ تجب؟، والشروط الواجب توافرها في المال حتى يخضع للزكاة، وحكم زكاة المال المكتسب من حرام أو المختلط بحرام، كما نتناول حكم خضوع الأموال العامة وأموال الجمعيات الخيرية وأموال الوقف وأموال القُصَّر والنقابات للزكاة، يلي ذلك مناقشة قضية التطبيق المعاصر للزكاة، وقضية فرض ضرائب بجانب الزكاة وحكم التهرب من الضرائب، ويختص الجزء الأخير من هذا الفصل ببيان الفروق الأساسية بين الزكاة والضريبة.

معنى الزكاة:

هي الطهارة والنماء والبركة، ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تبارك وتعالى: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ





صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » (التوبة: ١٠٣)، ويقول أهل العلم أنها سُمِّيت زكاةً لما فيها من تزكية النفس والمال والمجتمع، فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (ما نقص مال من صدقة، ولا تُقبل صدقة من غلول) (رواه مسلم).

ومعنى الزكاة شرعًا: جزء معلوم من مال معلوم، يؤدَّى إلى مستحقيه؛ عبادةً لله، وطاعة، وتعني كذلك التزكية للنفس والمال والمجتمع، ولقد أمر الله عز وجل بها في كتابه العزيز بقوله: « وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ » (البقرة: ٤٣)، وقوله تبارك وتعالى: « ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ » (الحج: ٤١)، ويقول ويطلق على الزكاة أحيانًا صدقة، فالزكاة صدقة، والصدقة زكاة، يفترق الاسم، ويتفق المسمى، فقد وردت الزكاة في القرآن باسم الصدقة، مثل قوله تبارك تعالى: «إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (التوبة: ٦٠).

والزكاة نوعان: زكاة المال وهي التي تفرض على الأموال التي تتوافر فيها شروط معينة، سوف نبينها فيما بعد، وزكاة الأبدان أو زكاة الفطر وهي الواجبة على المسلمين في شهر رمضان، والتي أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «زكاة الفطر طُهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين» (رواه أبو داود وابن ماجه).

الزكاة فريضة مالية:

الزكاة من الفرائض التي أجمعت عليها أمة الإسلام بأدلة من الكتاب والسنة والإجماع، والدليل من الكتاب قول الله سبحانه وتعالى: «إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (التوبة: ٦٠)، والدليل من السنة قول الرسول صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ بن جبل عندما بعثه إلى اليمن: «فأعلِمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم» (رواه البخاري ومسلم) كما أجمع فقهاء المسلمين من السلف والخلف على فرضيتها على النحو الذي سوف نبينه تفصيلاً فيما بعد.

والزكاة ركن من أركان الإسلام وشرط من شروط اعتناقه، مصداقًا لقول الله تعالى: « فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ » (التوبة: ١١) ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج لمن استطاع إليه سبيلاً» (رواه البخاري ومسلم).

الزكاة حق للفقراء والمساكين، وأصل ذلك من قول الله سبحانه وتعالى: « وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ » (المعارج: ٢٤، ٢٥)، وليست الزكاة هبة أو تبرعًا أو منّةً من الأغنياء على الفقراء، بل حق لهم، ويقول أهل العلم فضل الفقراء على الأغنياء كبير؛ لأنهم سببٌ لإثابتهم.

والزكاة فريضة مالية حيث تُفرض على المال متى توافرت فيه شروط الخضوع للزكاة، حتى ولو كان صاحب المال لم يُكلَّف بالعبادات، مثل خضوع مال اليتيم للزكاة وهو قاصر، كما تساهم الزكاة في التنمية الاقتصادية؛ حيث تساهم في رفع مستوى الفقراء والمساكين، وتحولهم إلى طاقة منتجة، كما لها جوانب اجتماعية؛ حيث تساهم في تحقيق الضمان الاجتماعي.

حكم جاحد الزكاة ومانعها:

الزكاة بالنسبة للمسلم الذي اعتنق الإسلام فريضة وركن من أركانه، ولهذا الحكم أدلته من القرآن والسنة والإجماع سبق بيانها فيما سبق.

ومن ينكر فريضة الزكاة فهو كافر، لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، كما أنه قد كذَّب صريح القرآن بفرضيتها، كذلك لم يقر بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تؤكد فرضية الزكاة، ولقد سبق أن ذكرنا الآيات والأحاديث التي تؤكد ذلك.

ومن يقر بفريضة الزكاة وامتنع عن أدائها فهو مسلم عاص مرتكب لكبيرة من أكبر الكبائر، تَوَعَّده الله عز وجل بالعقاب الشديد في قوله: «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ» (التوبة: ٣٤- ٣٥)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعًا أقرع، له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه، ثم يقول: أنا كنزك أنا مالك الحديث» (رواه البخاري ومسلم).

ومن مسئولية ولي الأمر معاقبة الممتنع عن أداء الزكاة، وأساس ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من أعطاها مؤتجرًا فله أجره، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله، عزمة من عزمات ربنا، لا يحل لآل محمد منها شيء» (رواه أحمد)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله إلاَّ مُثِّلَ له يوم القيامة شُجَاعًا أَقْرع حتى يُطَوَّق به عنقه» (رواه النسائي حديث حسن صحيح).

ولقد قاتل الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه الممتنعين عن الزكاة وقال: «والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق الله، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم على منعها» (متفق عليه).

على من تجب الزكاة؟

الزكاة فريضة على كل مسلم ومسلمة حر، ملك النصاب من الأموال التي تجب فيها الزكاة، وتجب الزكاة على كل مسلم سواء كان عاقلاً أو مجنونًا، أو صبيًا لم يبلغ الحلم، لأنها عبادة مالية، وحق الله في المال، وهذا رأي جمهور الفقهاء، ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ» (البقرة:٢٦٧).

كما تجب في أموال القُصَّر، مصداقًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتجروا في أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة» (رواه الطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك وهو حديث ضعيف).

كما تجب الزكاة على أموال المسجونين والمعتقلين في سبيل الله متى كانت لهم حرية التصرف في أموالهم من خلال الولي قياسًا على المجنون والصبي حسب رأي الجمهور.

كما تجب الزكاة على أموال النساء متى توافرت فيه شروط الخضوع للزكاة على النحو الذي سوف نوضحه تفصيلاً فيما بعد.

الشروط الواجب توافرها في الأموال الخاضعة للزكاة

لقد وضع الفقهاء مجموعة من الشروط الواجب توافرها في المال حتى تجب فيه الزكاة، من أهمها ما يلي:

١- أن يكون المال مملوكًا ملكية تامة للمزكي وقت حلول الزكاة، ولا يتعلق به حق لغيره وأن يكون المالك قادرًا على التصرف فيه باختياره، حتى يمكن نقل ملكية قدر الزكاة منه إلى مستحقيها.

٢- أن يكون المال ناميًا (نماء فعليًّا) أو قابلاً للنماء (نماء حكميًّا)، أي يترتب على تقليبه نتاجًا أو إيرادًا سواء تم التقليب بالفعل أم لا، فالمال المكنوز يخضع للزكاة لأنه نام حكمًا.

٣- أن يكون المال فائضًا عن نفقات الحاجات الأصلية للحياة للمزكي ولمن يعول ويعني هذا بأن يصل المزكي حد الكفاية، فمن دون هذا الحد ليس عليه زكاة.

٤- أن يكون المال خاليًا من الدَّين، وهذا تأكيد لشرط الملكية التامة، فإن وجدت ديون حالَّة يجب أن تخصم من الأموال الزكوية قبل حساب الزكاة كما هو الحال في زكاة عروض التجارة وزكاة النقدين.

٥- أن يبلغ المال الخاضع للزكاة (وعاء الزكاة) قدرًا معينًا محددًا يطلق عليه النصاب، وهو يختلف من زكاة إلى أخرى، وسوف نتعرض لذلك بالتفصيل فيما بعد.

٦- أن يمر على ملكية المال الخاضع للزكاة حولاً كاملاً، ماعدا زكاة الزروع والثمار والركاز حيث يزكيان وقت الحصول عليهما، على النحو الذي سوف نفصله فيما بعد.

وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى.

حب المغامرة، ومحاولة إثبات الذات، والميل إلى التقليد وتردُّد العواطف

إعداد د. عبد الرحمن بن صالح الجيران

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فما يزال الحديث مستمرًا عن تدارس مشكلات الشباب؛ من حب المغامرة، ومحاولة إثبات الذات، والميل إلى التقليد وتردُّد العواطف، بحيث يغضب بسرعة، ويصفو بسرعة، وعليه نجد أحيانًا من الشباب من يندفع ويبادر بالإنكار على الآخر إذا بلغه قول لعالم في مسألة ما من المسائل العلمية أو العملية، وقَد تحمله الغيرة والحماس في الدين على مجاوزة الحدود الشرعية والآداب الاجتماعية مع من يكبره سنًا وفضلاً وعلمًا.

فيعمل هذا الشاب من هذه المسألة التي يعتقد الحق بخلافها يجعل منها مسألة كبيرة يعقد عليها الولاء والبراء، وربما شنَّع القول على العالم المخالف له في هذه المسألة في كل مجلس من المجالس.

الحل الشرعي:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله حين سُئل عن تضخيم أخطاء العلماء: «تضخيم الأخطاء خطأ وعدوان، فالعالم بشر يخطئ ويصيب، ولكن إذا أخطأ العالم فواجب علينا أن نتصل به وأن نقول له: هل قلت كذا؟ فإذا قال: نعم، وكنا نرى أنه أخطأ، قلنا له: هل لديك دليل؟

فإذا دخلنا معه في المناقشة تبين الحق، وكل عالم مُنصف يخشى الله عز وجل لا بد أن يرجع إلى الحق.

ولا بد أن يعلن رجوعه أيضًا، وأما تضخيم الخطأ ثم يُذْكَر أبشع حالاته؛ فهذا لا شك أنه عدوان على أخيك المسلم، وعدوان حتى على الشرع، إن استطعت أن أقول هذا؛ لأن الناس إذا كانوا يثقون بشخص ثم زُعْزِعَتْ ثقتهم به، فإلى مَن يتجهون؟ أيبقى الناس مذبذبين ليس لهم قائد يقودهم بشريعة الله أم يتجهون إلى جاهل يُضلهم عن سبيل الله بغير قصد، أم يتجهون إلى عالم سوء يصدُّهم عن سبيل الله بقصد. (الصحوة الإسلامية، ضوابط وتوجيهات ص(٢٠١،٢٠٢).

وقال رحمه الله: «أسأل الله أن يعين العلماء على ما ينالهم من ألسنة السفهاء؛ لأن العلماء ينالهم أشياء كثيرة، والعلماء الراسخون في العلم لا تجد عندهم ما تجد غالبًا عند الشباب من النزع والطيش، وعدم تقدير الأمور والنظر في العواقب، ولهذا نجد فتاوى العلماء في المدلهمات درأ الله تعالى بها شُبهًا كثيرة، وظلمات حالكة؛ فلله الحمد والمنة.

وقد وضع العلماء شروطًا وضوابط للمفتي تُبيِّن أهمية معرفة الناس وأحوالهم وأن يكون متيقظا له حلم ووقار».

وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى طيش الشباب، فعن علي رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يأتي في آخر الزمان قوم حُدثاءُ الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن قتلهم أجرٌ لمن قتلهم يوم القيامة» متفق عليه.

ولما وُجِدَ شبهة عند شباب الأنصار جمعهم

النبي صلى الله عليه وسلم، وردَّ على شبهتهم، وأزال اللبس عنهم، وهذا من حُسن التربية، ومن السياسة الشرعية ألا يترك الوالي أو العالم الناس وما يقولون، قبل أن يستشري الأمر ويدبُّ في جسد الأمة الوهن.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أَنَّ نَاسًا مِنْ الْأَنْصَارِ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ الْمِائَةَ مِنْ الْإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَدَعُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ.

قال أنس رضي الله عنه: فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْأَنْصَارِ فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: مَا كَانَ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟ قَالَ لَهُ فُقَهَاؤُهُمْ: أَمَّا ذَوُو آرَائِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَتْرُكُ الْأَنْصَارَ وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالْأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَوَاللَّهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ رَضِينَا. فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَوْضِ. (متفق عليه).

وقريب منه ما ورد من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْدِلْ، فَقَالَ: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ. فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ: دَعْهُ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ. (البخاري: ٣٦١٠).

الحل الاجتماعي:

يرى المتخصصون في علم النفس أن من الأسباب التي تساعد على محاولة إثبات الذات واتخاذ المبادرات المتنوعة عند الشباب هو اختلاف مفاهيم الآباء عن مفاهيم الأبناء، واختلاف البيئة التي نشأ فيها الأهل وتكونت شخصيتهم خلالها وبيئة الأبناء، وهذا طبيعي لاختلاف الأجيال والأزمان، فالكبار يحاولون تسيير أبنائهم بموجب آرائهم وعاداتهم وتقاليد مجتمعاتهم والنتيجة إحجام الشباب عن الحوار مع الكبار؛ لأنهم يعتقدون أن الكبار إما أنهم لا يهمهم أن يعرفوا مشكلاتهم أو لا يستطيعون فهمها أو إنهم حتى إن فهموها- ليسوا على استعداد لتعديل مواقفهم.

ويتلخص الحل الاجتماعي فيما يلي:

١- عقد لقاءات دورية بين الكبار والشباب لحوار مفتوح فعلا لا شكلا.

٢- إعطاء الشباب الفرصة في تحمُّل المسئولية.

٣- اختيار الوقت المناسب، وتحديد الحلول، ووضع برامج زمنية للعلاج.

ومن هنا نكون قد أحكمنا التعامل مع الشباب من خلال ضبط قنوات ووسائل الاتصال مع إعطائهم الوقت في المشاركة مع المتابعة والتوجيه من الكبار. كذلك من المهم جدا أن يتعرف الكبار على واقع الشباب، وما استجد في حياتهم من أحداث ووسائل مادية، وغيرها من محاور الاستقطاب التي تستهوي ميول الشباب؛ وذلك بقصد التوجيه والنصيحة والمتابعة.

وتؤكد الدكتوره فايزة يوسف رئيس قسم الدراسات النفسية والاجتماعية بجامعة عين شمس، أن القدوة الحسنة هي أفضل وسيلة نستطيع بها أن نعلم أبناءنا السلوك الايجابي وتقول: الوالدان لديهما اعتقاد خاطئ بأن الابن ينمو بطريقة تلقائية جسديًا واجتماعيًا ونفسيًا، ولقد أثبتت الدراسات والأبحاث الاجتماعية والنفسية أن على الآباء تعليم الأبناء بطريقة إيجابية تبتعد عن النصح والإرشاد، وتقوم على تقديم القدوة والصورة المثلى لأبنائهم من خلال الالتزام في أفعالهم وسلوكياتهم".

وإلى لقاء جديد نتحدث فيه عن قواعد التعامل مع العلماء، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

إنّ زلزلة الساعة شيءٌ عظيمٌ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن من إكرام الله لعبده أن يرزقه قلبًا واعيًا ونفسًا متزنة مع ما أمره الله به من إيمان، وإن من الأحاديث المرشدة لذلك ما رواه إمام المحدثين: الإمام البخاري رحمه الله وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا».

بقلم
د. مرزوق محمد مرزوق



التخريج:

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا ٦١٢٠.

واتفق عليه الشيخان من رواية أنس رضي الله عنه في البخاري في الكتاب والباب السابق برقم (٦٤٨٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توقيره وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه رقم (١٣٢٧).

وأخرجه الترمذي في جزء من حديث، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً»، (٥٥٦/٤)، رقم: (٢٣١٣).

وجزء من حديث طويل رواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب الحزن والبكاء رقم (٤١٩٠) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

الشرح:

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة التي وردت بسياقات عديدة، وفي مناسبات متعددة كما وجهها أهل العلم وعن كثير من الصحابة، وكل هذه الأحاديث تحتوي على هذه العبارة الكريمة، والتي نحن بصددها في الباب: (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (٣١٩/١١): «والمراد بالعلم هنا ما يتعلق بعظمة الله، وانتقامه ممن يعصيه، والأهوال التي تقع عند النزع، والموت، وفي القبر، ويوم القيامة، ومناسبة كثرة البكاء وقلة الضحك في هذا المقام واضحة، والمراد به التخويف» انتهى من الفتح.

وقال القرطبي رحمه الله في المفهم» (٥٥٧/٢): «وقوله صلى الله عليه وسلم: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا): يعني ما يعلم هو من أمور الآخرة وشدة أهوالها، ومما أعد في النار من عذابها وأنكالها، ومما أعد في الجنة من نعيمها وثوابها، فإنه صلى الله عليه وسلم قد كان رأى كل ذلك مشاهدةً وتحقيقًا، ولذلك كان صلى الله عليه وسلم متواصل الأحزان، قليل الضحك، جُله التبسم» انتهى.

ومن أفيد سياقات هذا الحديث ما رواه الترمذي (٢٣١٢) عن أبي ذر رضي الله عنه وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٧٢٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتْ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لله، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ

إلى الله).

قال المباركفوري رحمه الله في «تحفة الأحوذي» (٦٠١/٦): «قوله: (إني أرى ما لا ترون) أي: أبصر ما لا تبصرون». (ينظر: تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي (٦٠١/٦) في شرحه لباقي السياق).

مما يستفاد من الحديث:

أولاً: فضل إيمانه صلى الله عليه وسلم على إيمان من سواه:

ففي الصحيحين من حديث أنس قوله صلى الله عليه وسلم: «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له...»؛ الحديث؛ فكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم ما لم يعلموا، ومع ذلك لم يحصل له ما ذكر، يمكن تفسيره بأنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الله من قوة الإيمان وكماله ومن التوازن الإيماني والانضباط الشعوري ما جعله يجمع بين عبادة الخوف والرجاء بما لا يقدر غيره عليه، وكذلك يمكن تفسيره بأن الحديث جاء في معرض الوعظ والحث على الخوف من الله.

ثانيا: لا يعلم الغيب الا الله:

قوله صلى الله عليه وسلم: «إني أرى ما لا ترون»، وذلك مما يطلعه الله عز وجل عليه من أمر الغيب، فالغيب لا يعلمه إلا الله كما قال تعالى: (قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (سورة النمل: ٦٥)؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، وإنما يُطلعه ربه على ما يشاء منه، كما قال الله- عز وجل-: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا» (الجن:٢٦-٢٧). (ينظر شرح الشيخ ابن عثيمين للحديث في شرحه لرياض الصالحين).

فهذا رسول الله لا يعلم من الغيب إلا ما علّمه الله إيّاه، وعليه فإن من دونه من البشر لا يعلم الغيب من باب أَوْلى، وهو من أوضح الردود على مَن غالى في عباد الله من الصالحين أو غيرهم من الإنس والجن، فأعطاهم ما لم يعطه الله لخير خلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاعتبروا يا أولي الألباب.

ثالثا: الحياة لا تصلح إلا بالإيمان باليوم الآخر:

فإذا علم الناس من أحوال وأهوال اليوم الآخر ما أخبرت الشريعة به على سبيل الإجمال كحديث الباب (لو تعلمون ما أعلم.....الحديث) أو على سبيل التفصيل كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحوال الآخرة كل ذلك مما يلزم العبد بالعمل بمقتضى هذا الإيمان فيستمتع بالرضا بالقضاء والقدر ولا يرضى لنفسه أن يظلمها بالإعراض عن شرع الله سواء بمعصية الله أو يظلمها بالتعدي على حقوق عباد الله كما قال الله عز وجل: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا) (سورة طه: ١٢٤-١٢٥).

لذا فالحياة بغير هذا الإيمان غابة، وما يعيشه الناس من ظلم وتعاسة في مشارق الأرض ومغاربها ليس إلا من غياب هذا الركن من أركان الإيمان

رابعًا: وفي فهم الحديث شبهة لتعارضه مع جملة أحاديث أخرى وبيان ذلك:

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال: «لو تعلمون ما أعلم: لبكيتم كثيرًا، ولضحكتم قليلاً»، هو نفسه الذي كان أكثر الناس تبسُّمًا!! فقد جمع الإمام البخاري أحاديث كثيرة للنبي صلى الله عليه وسلم وبوَّب لها: (باب التبسم والضحك)، وفي ذلك دليل على الابتسامة التي كان يحرص عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك جمع الإمام مسلم في صحيحه أحاديث بوب لها الإمام النووي في كتاب الفضائل: (باب تبسمه وحسن عشرته صلى الله عليه وسلم).

وللجمع بين الحالين فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يحثهم على كثرة البكاء بقوله له: «لبكيتم كثيرا...»، وإنما أراد تذكيرهم بأهوال اليوم الآخر، وبمواقع الفتن في الدنيا، مما يستدعي الهم والحزن، لكنه صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم بسنته العملية أن العلم بأهوال يوم القيامة وشدته والعلم بفتن الدنيا وما ينتظر أمته منها لا يمنعانه من عظيم الرجاء في ربه عز وجل، ومن عظيم الأمل في رحمته ونظر عنايته بخلقه عز وجل وأن من أكمل أحوال العبد أن يجمع بين العبادتين (الخوف والرجاء)، وأن أكمل وصف لذلك هو ما كان عليه أفضل الخلق صلى الله عليه وسلم.

والحاصل: أن عبادة تواصل الأحزان- وهو من الكيفيات النفسية- بسبب الخوف من غضب الله لا ينافي عبادة كثرة تبسمه؛ كما لا ينافي عبادة الرجاء في رحمة الله، والتي ثبت تغلبها على غضبه؛ كما في البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ) (آل عمران: ٢٨)، رقم: (٧٤٠٤)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم: (٢٧٥١) من. حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَمَّا خلق الله الخلق كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي).

وفي هذا القدر كفاية، والحمد لله رب العالمين.

وعد ووعيد

وعد ووعيد

وعد ووعيد

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أما بعد:

فإنَّ نظام الميراث في شريعة الإسلام أعدل ما عرَف الناس في القديم من قوانين ونُظُم؛ حقق ما تصبو إليه النفوس من عدالة وإنصاف فكان نظامًا يتفق مع الفطرة الإنسانية التي خلق الله الناس عليها من حب العدل، ومنع الظلم، وإتاحة كل فرص السعادة والطمأنينة، كما أنه يتفق - أيضًا - مع دواعي الحياة الإنسانية والأسرية والعائلية وظروفها ومقتضياتها وهو نظام يتضاءل أمامه أيّ نظام عرفه الناس قديمًا وحديثًا في أيّ مكان من الأرض، كان نظامًا فريدًا؛ لأنه يحقق معنى التكافل بين أفراد العائلة الواحدة، ويعطي كل واحد من أفرادها على قدر مكانته في الأسرة، وكان نظامًا فريدًا؛ لأنه لم يحرم امرأة ولا صغيرًا؛ لأنه نظر إلى الأسرة نظرة أخرى غير النظرة الجاهلية؛ فهي أسرة واحدة عمادها التراحم والتوادّ والتكافل والتضامن والتعاون على كل ما من شأنه أن يحفظ عليها الثبوت والاستقرار.

قال الله تعالى: «لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا» (النساء:٧)؛

فإعطاء المرأة والصغير نصيبًا من الميراث اعترافٌ بهما وتنويهٌ بشأنهما وحفظٌ لحقهما وقرابتهما، وهو أمر لم يكن له وجود من قبل، بل لم يفكر فيه مصلح اجتماعي.

والميراث من حيث إنه ميراث ينبغي أن يهتم به المسلمون أبلغ اهتمام من أجل الحرص على بيان الأنصبة الشرعية وإعطائها لأصحابها كاملة، لذا كان علم الفرائض من أجلِّ العلوم خطرًا، وأرفعها قدرًا، وأعظمها أجرًا، ولأهميته فقد تولى الله سبحانه وتعالى تقدير الفرائض بنفسه، فبيَّن ما لكل وارث من الميراث، وفصَّلها سبحانه تفصيلاً في آيات معلومة؛ إذ الأموال وقِسْمتها محط أطماع الناس، والميراث غالبًا بين رجال ونساء، وكبار وصغار، وأقوياء، وضعفاء، ولئلا يكون فيها مجال للآراء والأهواء؛ لذا تولى الله عز وجل قسمتها بنفسه سبحانه وفصَّلها في كتابه، وسواها بين الورثة على مقتضى العدل والمصلحة التي يعلمها سبحانه، والمتأمل في آيات المواريث يجد أن الله تعالى أكَّد عليها تأكيدًا فقال سبحانه: «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ» (النساء:١١)، ثم بيَّن سبحانه بعض الأنصبة، ثم قال سبحانه: «فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا» (النساء:١١)، والمعنى: أي: فرضها الله الذي قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحكم ما شرعه، وقدَّر ما قدره، على أحسن تقدير، لا تستطيع العقول أن تقترح مثل أحكامه الصالحة الموافقة لكل

زمان ومكان وحال. (تيسير الكريم الرحمن: ٢٤/٢).

ثم بيَّن سبحانه أنصبة أخرى ثم قال: «وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ» (النساء:١٢)، فهذا الفرض وهذه القسمة إذن مبنية على العلم، ومبنية على الحكمة، فما عليهم إلا أن يقبلوا هذه القسمة؛ لأنها من الله العليم الحكيم، وقد استنبط بعض الأذكياء من قوله تعالى: « يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ » (النساء:١١) أنه تعالى أرحم بخلقه من الوالد بولده، حيث وصَّى الوالدين بأولادهم، فعُلِمَ أنه أرحمُ بهم منهم.

ثم خُتمت آيات المواريث بوعد ووعيد، فقال سبحانه: « تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ » (النساء:١٣ - ١٤).

والمعنى أن هذه الفرائض والمقادير التي جعلها الله للورثة- هي حدود الله، فلا تعتدوها ولا تجاوزوها، ولهذا قال سبحانه: «وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ» (النساء:١٣) أي: فيها، فلم يزد بعض الورثة ولم ينقص بعضًا بحيلة ووسيلة، بل تركهم على حكم الله وفريضته وقسمته «يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ » (النساء:١٣).

وأما مَن تعدَّى حدود الله في الوصية والميراث، وخالَف أمرَ الله، وظن أنه يعمل ما يراه- بعقله القاصر أو بهواه- فيه مصلحة لورثته- كان الوعيد الشديد « وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ » (النساء:١٤) أي: لكونه غيَّر ما حكم الله به وضادَّ الله في حكمه، وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسَم الله وحكم به، ولهذا يجازيه بالإهانة في العذاب الأليم القيم». (عمدة التفسير ١/ ٤٢٠).

فلا يجوز لأحدٍ أن يوصي لبعض ورثته دون بعض لا بشيء من أعيان المال، ولا بشيء من منافعه وغلاته، فلو أراد أحدٌ أن يوصي لبعض الورثة بدراهم أو عقار لكان جائرًا في الوصية ولم يجز تنفيذها إلا بإجازة بقية الورثة المرشدين، وكذلك لا يجوز أن يوصي لبعض ورثته بأجرة شيء من عقاره أو مغله سواء أوصى له بذلك دائمًا أو مدة معينة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا وصية لوارث». «وقد أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث، وأن الوصية للوارث حرام».

ومن ذلك أيضًا حرمان الإناث خاصة من الميراث والتركة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنْ الْأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ». (رواه البخاري).

فيا أيها الوالد الكريم! الزم العدل بين أولادك في العطاء والوصية، ولا تحرم أحدًا من الورثة حقه، بل عليك أن ترضى بما فرض الله وقسم، ولا تتأثر بالهوى والميل لبعض الورثة دون الباقين، فتعرض نفسك لدخول النار، وكم أخطاء أشخاص كتبوا أموالهم لبعض ورثتهم، فأصبح الحقد والبغض بين الورثة، وذهبوا للمحاكم فضيَّعوا أموالهم للحكام والمحامين، و«إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ» (البقرة:١٥٦).

وأخيراً: هل يجوز للرجل أن يقسم تركته في حياته على أولاده؟

والجواب: قال الله تعالى: « وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا » (النساء:٥). قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تعمد إلى مالك وما خوَّلك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنتك، ثم تنظر إلى ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن أنت الذي ينفق عليهم من كسوتهم ومؤنتهم ورزقهم. (ابن كثير: ١/ ٤٥٢).

وفق الله الجميع لامتثال أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

درر البحار في بيان ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

إعداد/ علي حشيش

الحلقة (٧٣)

٦٨٩- «من بنى من البنيان فوق ما يكفيه كُلِّفَ أن يحمله يوم القيامة على عُنقه».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/١٨٧) (ح١٠٢٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٢٤٦) من طريق المسيب بن واضح عن يوسف بن أسباط عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود مرفوعًا.

قال أبو نعيم: «غريب من حديث الثوري».

وهذا الحديث باطل مردود بالسقط في الإسناد، والطعن في الراوي.

١- أما عن الطعن في الراوي فهو يوسف بن أسباط، قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه «الجرح والتعديل» (٩/٢١٨/٩١٠): «سمعت أبي يقول: كان رجلاً عابدًا، دفن كتبه وهو يغلط كثيرًا، وهو رجل صالح لا يُحتج بحديثه». وأقر ذلك الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٤٦٢/٩٨٥٦).

٢- أما عن السقط في الإسناد والانقطاع، قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه «المراسيل» (٤٧٦): «سألت أبي عن: أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود هل سمع من أبيه عبد الله؟ فقال أبي: «لم يسمع»، لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٤٤٨): «والراجح أنه لا يصح سماعه من أبيه». اهـ.

٣- لذلك قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه «العلل» (ح١٨٤٠): «سألت أبي عن حديث مسيب بن واضح-يعني هذا الحديث-؟ فقال: حديث باطل».

ولذلك أورد هذا الحديث الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/١١٦/٥٨٤٨) وقال: «هذا حديث منكر». اهـ.

٦٩٠- «يقول الله تعالى: لقد طال شوقُ الأبرار إلي، وأنا إلى لقائهم أشد شوقًا».

الحديث لا يصح؛ أورده الغزالي في «الإحياء» (٣/٨) بصيغة الجزم عن النبي صلى الله عليه وسلم عن رب العزة، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلاً». اهـ.

٦٩١- «لا يَقبل الله لصاحب بدعة صومًا، ولا صلاةً، ولا صدقةً، ولا حجًا، ولا عُمرةً، ولا صرفًا، ولا عدلاً، يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين».

الحديث لا يصح؛ أخرجه الإمام ابن ماجه في «السنن» (ح٤٩) من طريق محمد بن محصن، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عبد الله بن الديلمي عن حذيفة مرفوعًا، وعلته محمد بن محصن قال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٧/١٩٦/٦١٧٢) روى عن إبراهيم بن أبي عبلة ثم نقل أقوال أئمة الجرح والتعديل في محمد بن محصن: قال البخاري عن يحيى بن معين: كذاب، وقال أبو حاتم: كذاب، لذلك قال الحافظ

ابن حجر في «التقريب» (٢/٢٠٥): «كذَّبوه»، وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٧٧): «شيخ يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه». اهـ.

٣٩١- «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: إنما خلقتُ الخَلْقَ ليربحوا عليَّ ولم أخلقهم لأربح عليهم».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٤٧/٤) بصيغة الجزم عن رب العزة، وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «حديث قال الله خلقت الخلق ليربحوا عليَّ.. لم أقف له على أصل». اهـ.

٣٩٢- «مَنْ قذفَ ذميًا حُدَّ له يومَ القيامةِ بسياطٍ من نارٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٧/٢٢) (ح١٣٥)، وابن عدي في «الكامل» (١٦٧/٦) (١٦٥٣/٣٢)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٣٠/٣) من طريق مصعب بن سعيد أبي خيثمة عن محمد بن محصن، عن الأوزاعي، عن مكحول عن واثلة مرفوعًا، وعلته محمد بن محصن الكذاب، كما بينا آنفًا، ويزيد هذا الحديث ضعفًا على ضعف بالراوي عنه، وهو مصعب بن سعيد، قال ابن عدي في «الكامل» (٣٦٤/٦) (١٨٤٦/٢٢٥): «مصعب بن سعيد أبو خيثمة المكفوف المصيصي يحدث عن الثقات بالمناكير ويصحف عليهم». اهـ. فكيف لو حدث عن الكذابين كما في هذا الحديث.

٣٩٣- «نِعْمَ السِّواكُ الزيتونُ، مِنْ شعرةٍ مباركةٍ، يُطَيِّبُ الفَمَ، ويذهبُ بالحَفَرِ، هو سواكي، وسواكُ الأنبياءِ قبلي».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩٠/١) (ح٦٨٢)- ط. المعارف بالرياض- من حديث محمد بن محصن عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن عبد الرحمن بن غنم الأشعري، عن معاذ بن جبل مرفوعًا به، وعلته: محمد بن محصن الكذاب يضع الحديث كما بينا آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل، وهو حديث غريب لا متابع له ولا يشاهد، فقد قال الإمام الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن إبراهيم، إلا محمد». اهـ.

٣٩٤- «اتقِ يا عليُّ دعوةَ المظلومِ، فإنما يسألُ اللهَ حقهُ، وإنَّ اللهَ لَنْ يمنعَ ذا حقٍّ حقهُ».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٠١/٩- ٣٠٢) من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا، وعلته صالح بن حسان أبو الحارث الأنصاري المديني، قال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (١٦٦): «منكر الحديث». قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه؛ فقد بيَّن الشيخ أحمد شاكر في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩): قال: «وكذلك قول البخاري: «منكر الحديث» فإنه يريد به الكذابين ففي «الميزان» للذهبي (٥/١): نقل القطان أنَّ البخاري قال: «كل من قلت فيه «منكر الحديث» فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

لذلك قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٩٦): «متروك الحديث».

وفي «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي للإمام يحيى بن معين» (٤٣٧) قال: «سألت يحيى بن معين عن صالح بن حسان؟ فقال: ليس بشيء».

٣٩٥- «اتخذوا الدِّيكَ الأبيضَ، فإنَّ دارًا فيها ديكٌ أبيضُ لا يقربها شيطانٌ، ولا ساحرٌ، ولا الدويرات حولها».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٨٩/١) (ح٦٨١) من حديث محمد بن محصن عن إبراهيم بن أبي عبلة عن أنس بن مالك مرفوعًا، وقال: «لم يروه عن إبراهيم إلا محمد».

فالحديث غريب وعلته: محمد بن محصن الكذاب الوضاع كما بُيِّنَ آنفًا.



باب الطهارة

أحكام الاستحاضة

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد:

انتهينا في الحلقة السابقة من أحكام النفاس ونشرع في هذه الحلقة بإذن الله تعالى في بيان أحكام الاستحاضة، وأسأل الله جل وعلا أن ينفع بها، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا؛ إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

أولاً: تعريف الاستحاضة:

الاستحاضة لغة: استفعال من الحيض، يقال: استحيضت، فهي مستحاضة، وهو أن يستمر بالمرأة خروج الدم بعد أيام حيضها المعتاد، والمستحاضة: التي لا يرقأ دم حيضها ولا يسيل من المحيض، ولكنه يسيل من عرق يقال له العاذل. (لسان العرب: ٧/١٤٢، ١٤٣).

الاستحاضة شرعًا:

عرفها الحنفية بأنها: اسم لدم خارج من الفرج دون الرحم. (البحر الرائق لابن نجيم: ١/٢٢٦).

وعرفها المالكية بأنها: ما زاد على دم الحيض والنفاس، وهو دم علة وفساد. (المقدمات لابن رشد: ١/١٢٤).

وعرفها الشافعية بأنها: دم علة يسيل من عرق من أدنى الرحم يقال له العاذل. (مغني المحتاج للخطيب الشربيني: ١/٢٧٧).

وعرفها الحنابلة بأنها: سيلان الدم في غير أوقاته من مرض وفساد من عرق فمه في أدنى الرحم يسمى العاذل. (كشاف القناع للبهوتي: ١/١٩٦).

ثانيًا: صفة دم الاستحاضة:

دم الاستحاضة دم أحمر رقيق، لا رائحة له. (البحر الرائق ١/٢٢٦، المقدمات لابن رشد: ١/١٣٣).

ثالثًا: الفرق بين دم الحيض والاستحاضة:

١- دم الحيض أسود له رائحة كريهة، أما دم

الاستحاضة فأحمر لا رائحة له. (البحر الرائق ٢٢٦/١، المقدمات لابن رشد ١٣٣/١).

٢- دم الحيض دم صحة يخرج في أوقات معلومة، أما دم الاستحاضة فهو دم علة وفساد ليس له أوقات معلومة. (مغني المحتاج: ٢٧٧/١).

٣- دم الحيض ثخين، أما دم الاستحاضة فرقيق. (الأم: ٢٢٦/٥).

عن فاطمة بنت أبي حبيش أنها كانت تستحاض، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا كَانَ دَمُ الْحَيْضَةِ فَإِنَّهُ أَسْوَدُ يُعْرَفُ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْآخَرُ فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي فَإِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ». (صحيح سنن أبي داود ٢٨٦، والنسائي ٣٦٣، والإرواء ٢٠٤).

رابعًا: أحكام المستحاضة:

١- جواز وطئها في حال جريان الدم وهي مستحاضة.

وهذه بعض أقوال العلماء في هذه المسألة:

قال الشافعي في الأم (١٣٣/١): "فلما حكم النبي صلى الله عليه وسلم للمستحاضة حكم الطهارة في أن تغتسل وتصلي، دل ذلك على أن لزوجها أن يأتيها".

قال الإمام مالك في الموطأ (٦١/١): "الأمر عندنا أن المستحاضة إذا صلت، أن لزوجها أن يصيبها".

قال ابن عبد البر في الاستذكار (٣٥٣/١): "قال جمهور الفقهاء: المستحاضة تصوم وتصلي، وتطوف بالبيت، وتقرأ القرآن ويأتيها زوجها.

وممن روى عنه إجازة وطء المستحاضة عبد الله بن عباس وسعيد ابن المسيب وسعيد بن جبير وعكرمة وعطاء ابن أبي رباح، وهو قول الشافعي وأبي حنيفة وأصحابهما والثوري والأوزاعي وإسحاق وأبي ثور.

٢- هل على المستحاضة غسل غير الغسل الواجب حينما ينقطع حيضها؟

عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن أم حبيبة استُحيضت سبع سنين فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأمرها أن تغتسل فقال: «هَذَا عِرْقٌ» فكانت تغتسل لكل صلاة. (أخرجه البخاري ٣٢٧).

وعن عائشة أن فاطمة بنت أبي حُبيش كانت تستحاض، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ذَلِكِ عِرْقٌ وَلَيْسَتْ بِالْحَيْضَةِ، فَإِذَا أَقْبَلَتِ الْحَيْضَةُ، فَدَعِي الصَّلَاةَ وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْتَسِلِي وَصَلِّي». (أخرجه البخاري ٣٢٠. ومسلم ٣٣٣).

وذهب جمهور العلماء إلى أنه لا يجب على المستحاضة إلا غسل واحد وقت انقطاع حيضها.

وهذه بعض أقوال أهل العلم في المسألة.

جاء في الاستذكار (٣٤٥/١): "وقد روى عن سعيد بن المسيب في ذلك مثل قول مالك وسائر الفقهاء: أنها لا تغتسل إلا من طُهر إلى طُهر على ما وصفنا من انقضاء أيام دمها، إذا كانت تميز دم استحاضتها. وعلى هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة الكوفي وأصحابه".

جاء في الموطأ (٦١/١): "عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن أن القعقاع بن حكيم وزيد ابن أسلم أرسلاه إلى سعيد بن المسيب، يسأله كيف تغتسل المستحاضة؟ فقال: تغتسل من طهر إلى طهر. (إسناده صحيح. أخرجه عبد الرزاق في المصنف ١١٧٠، وابن أبي شيبة في المصنف ١٣٥٧).

وعن مالك عن هشام بن عروة عن أبيه، أنه قال: "ليس على المستحاضة إلا أن تغتسل غسلًا واحدًا". (أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٣٤٤) نحوه.

قال النووي في شرح مسلم (٢٥٧/٢): "واعلم أنه لا يجب على المستحاضة الغسل لشيء من الصلاة، ولا في وقت من الأوقات إلا مرة واحدة في وقت انقطاع حيضها، وبهذا قال جمهور العلماء من السلف والخلف".

قال الحافظ في الفتح (٥٠٩/١): "في شرح حديث أم حبيبة.... وهذا الأمر بالاغتسال مطلق فلا يدل على التكرار، فلعلها فهمت طلب

ذلك منها بقرينة فلهذا كانت تغتسل لكل صلاة، وقال الشافعي: إنما أمرها صلى الله عليه وسلم أن تغتسل وتصلي، وإنما كانت تغتسل لكل صلاة تطوعًا، وكذا قال الليث بن سعد في روايته عند مسلم: لم يذكر ابن شهاب أنه صلى الله عليه وسلم أمرها أن تغتسل لكل صلاة، ولكنه شيء فعلته هي.

٣- هل على المستحاضة وضوء عند كل صلاة؟

وعن عائشة أن فاطمة بنت أبي حُبيش كانت تستحاض، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ذَلِكَ عِرْقٌ وَلَيْسَتْ بِالحَيْضَةِ، فَإِذَا أَقْبَلَتِ الحَيْضَةُ، فَدَعِي الصَّلاَةَ وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاغْتَسِلِي وَصَلِّي». (أخرجه البخاري ٣٢٠، ومسلم ٣٣٣).

وقد وردت زيادة في هذا الحديث عند النسائي: «فَاغْسِلِي عَنْكِ الدَّمَ، وَتَوَضَّئِي، وَصَلِّي».

ومن أهل العلم من ضعف هذه الزيادة، وعلى هذا هناك نزاع بين أهل العلم فمنهم من قال تتوضأ لكل صلاة، وهذا مذهب الشافعي وأحمد وأبي حنيفة، ومنهم من قال: الاستحاضة ليست ناقضة للوضوء، وهذا مذهب المالكية وغيرهم.

أقوال أهل العلم في المسألة:

أولاً: من قال عليها وضوء لكل صلاة:

جاء في الأم للشافعي (١٣٣/١): "وعليها الوضوء لكل صلاة، قياسًا على السُّنة في الوضوء بما خرج من دبر أو فرج، ومما له أثر أو لا أثر له".

جاء في الإنصاف (٣٥٤/١): "والواجب عليها أن تتوضأ لوقت كل صلاة، ولها أن تصلي بتلك الطهارة ما شاءت من الصلاة، الوقت والفوائت والنوافل وتجمع بين الصلاتين في وقت إحداهما".

وفى شرح معانى الآثار (١٣٩/١): "قال الطحاوي: فأولى الأشياء أن نرجع في هذا الحدث المختلف فيه، فنجعله كالحدث الذي قد أجمع عليه ووجد له أصل، ولا نجعله كما لم يجمع عليه، ولم نجد له أصلاً.

فثبت بذلك قول من ذهب إلى أنها تتوضأ لكل صلاة، وهو قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن، رحمهم الله تعالى.

ثانياً: من قال ليس دم الاستحاضة ناقض للوضوء:

جاء في عون المعبود (٣٤١/١، ٣٤٢): "باب من لم يذكر الوضوء للمستحاضة (إلا عند الحدث) غير جريان الدم فلا يجب عليها الوضوء لكل صلاة أو لوقت كل صلاة بل لها أن تصلي ما شاءت ما لم يحدث حدثًا غير جريان الدم".

وفى التمهيد لابن عبد البر (٥١٣/١): "قال أبو عمر: إذا أحدثت المستحاضة حدثًا معروفًا معتادًا لزمها له وضوء، وأما دم استحاضتها فلا يوجب وضوءًا لأنه كدم الجرح السائل، وكيف يوجب من أجله وضوء وهو لا ينقطع، ومن كانت هذه حاله من سلس البول والمذي والاستحاضة، لا يرفع بوضوئه حدثًا؛ لأنه لا يتمه إلا وقد حصل ذلك الحدث في الأغلب، والى هذا المذهب ذهب مالك وأصحابه.

جاء في الشرح الممتع (٤٣٧/١): "في ثنايا كلامه عن الاستحاضة:... والذي ينزف منه دم دائمًا لا يلزمه الوضوء، إلا على قول من يرى أن الدم الكثير ينقض الوضوء. والراجح: أنه لا يلزمها الوضوء إلا إذا فسد وضوؤها بشيء من النواقض".

تعقيب وترجيح:

أرى- والله تعالى أعلم- أن الصواب مع من ذهب من أهل العلم إلى أن الاستحاضة ليست ناقضة للوضوء، وعليه فلا يجب على المستحاضة الوضوء لكل صلاة إلا إذا انتقض وضوؤها، والذي يقوِّي ذلك عندي أنه لا يوجد دليل صحيح يصلح للتمسك به على أن المستحاضة يجب عليها الوضوء لكل صلاة، وأيضًا دم الاستحاضة لا ينقطع، فيرد عليها أنها تتوضأ من حدث مستمر، فالوضوء على هذا لا يرفع حدثًا، وبالله التوفيق.



منبر الحرمين

حقوق الوالدين

إعداد: الشيخ د. علي عبد الرحمن الحذيفي
خطيب المسجد النبوي الشريف

عباد الله: اعلموا أن أعمالَ العباد لهم أو عليهم، لا ينفعُ اللهَ طاعةٌ، ولا تضُرُّه معصيةٌ، قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ (الجاثية: ١٥)، وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر: ٤٠).

وقال عزَّ وجل في الحديث القُدسي: «يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! إنما هي أعمالُكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجدَ خيرًا فليحمَد الله، ومن وجدَ غيرَ ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسَه»؛ رواه مسلمٌ من حديث أبي ذرٍّ - رضي الله عنه -.

وأداءُ الحقوق الواجبة على العبد نفعُها في أول الأمر وآخره يعودُ إلى المُكلَّف بالثواب في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾ (الأنبياء: ٩٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف: ٣٠).

والتقصيرُ في بعض الحقوق الواجبة على المُكلَّف، أو تضييعُها وتركُها بالكلية، يعودُ ضررُه وعقوبتُه على الإنسان المُضيِّع للحقوق المشروعة في الدين؛ لأنه إن ضيَّع حقوق ربِّ العالمين فما ضرَّ إلا نفسَه في الدنيا والآخرة، فالله غنيٌّ عن العالمين، قال - تبارَك وتعالى-: ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزمر: ٧)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (فاطر: ١٥).

وقال عز وجل: ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (محمد: ٣٨)، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: ١١١).

وحقُّ الربِّ الذي يجبُ حفظُه هو التوحيدُ، وقد وعَدَ اللهُ عليه أعظمَ الثواب، قال - تبارك وتعالى-: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ (ق: ٣١، ٣٢).

ومن ضيَّع حقَّ الله - عزَّ وجل - بالشرك به، واتِّخاذ وسائط من دُون الله يعبُدهم ويدعُوهم لكشفِ الضُّرِّ والكُرُبات، وقضاءِ الحاجات، ويتوكَّل عليهم؛ فقد خابَ وخسِرَ وأشركَ، وضلَّ سعيُه، لا يقبَلُ الله منه عدلاً ولا فدية، ويُقال له: ادخُل النارَ مع الداخلين، إلا أن يتوبَ من الشرك.

وفي الحديث: «يُقال للرجلِ من أهل النار: لو أنَّ لك ما في الأرض هل تفتَدي به من النار؟ فيقول: نعم، فيُقال له: قد أمرتُ بما هو أيسَرُ من ذلك، ألَّا تُشرِك بالله شيئًا» رواه البخاري.

وإن ضيَّع المُكلَّفُ وتركَ حقوقَ الخلق الواجِبةَ،



فقد حرمَ نفسَه من الثواب في الدنيا والآخرة، وعرَّض نفسَه للعقاب، وإن قصَّر في بعضها، فقد حُرمَ من الخير بقَدر ما نقصَ من القيام بحقوق الخَلق.

والحياةُ تمضي بما يلقى الإنسانُ من شدَّة ورخاء، وحرمان وعطاء، ولا تتوقَّفُ الحياةُ على نَيل الإنسانِ حقوقَه الواجبةَ له، وعند الله تجتمعُ الخُصُوم، فيُعطي اللهُ المظلومَ حقَّه ممن ظلمَه وضيَّع حقَّه.

عن أبي هُريرة - رضي الله عنه-، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لتُؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامة؛ حتى يُقادَ للشاة الجلحاء من الشاة القَرناء» رواه مسلم.

وأعظمُ الحقوق بعد حقِّ الله ورسوله: حقوقُ الوالدَين، ولعظَم حقِّهما قرَنَ الله حقَّه بحقِّهما، فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤)، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

وعظَّمَ اللهُ حقَّ الوالدَين؛ لأنه أوجدَك وخلقَك بهما، والأمُّ وجدَت في مراحل الحمل أعظمَ المشقَّات، وأشرَفت في الوضع على الهلَكات، قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ (الأحقاف: ١٥).

والأبُ يَرعَى ويُربِّي ويسعَى لرزقِ الولَد، ويُعالِجان من الأمراض، ويسهَرُ الوالدان لينامَ الولَدُ، ويتعبَان ليستريحَ، ويُضيِّقان على أنفسهما ليُوسِّعا عليه، ويتحمَّلان قذارةَ الولَد ليسعَد، ويُعلِّمانه ليكمُل ويستقيم، ويُحبَّان أن يكون أحسنَ منهما.

فلا تعجَب - أيها الولَد - من كثرة الوصيَّة بالوالدَين، ولا تعجَب من كثرة الوَعيد في عقوقهما.

ولن يبلغَ ولدٌ كمالَ البرِّ بالوالد مهما اجتهَدَ وبذَل إلا في حالة واحدة؛ عن أبي هريرة - رضي الله عنه-، عن النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «لن يجزِيَ ولَدٌ والِدَه إلا أن يجدَه مملوكًا فيشترِيَه فيُعتِقَه» رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

والوالدان بابان من أبواب الجنة، من برَّهما دخَلَ؛ عن أبي هريرة - رضي الله عنه-، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «رغِمَ أنفُه، رغِمَ أنفُه، رغِمَ أنفُه». قيل: مَنْ يا رسولَ الله؟ قال: «من أدركَ أبوَيه عند الكِبَر أو أحدَهما ثم لم يدخُل الجنة» رواه مسلم.

أيها المسلم: إذا رضيَ عنك والداك فالربُّ راضٍ عنك؛ عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما-، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «رضَا اللهِ في رضَا الوالد، وسَخَطُ اللهِ في سَخَط الوالد». حديثٌ صحيحٌ؛ رواه الترمذي، والحاكم في «المستدرك»، وقال: حديثٌ صحيح.

وبرُّ الوالدين هو طاعتُهما في غير معصيَة، وإنفاذُ أمرهما ووصيَّتهما، والرِّفقُ بهما، وإدخالُ السُّرور عليهما، والتوسعةُ عليهما في النفقَة، وبَذلُ المال لهما، والشفقةُ والرحمةُ لهما، والحُزنُ لحزنهما، وجَلبُ الأُنس لهما، وبِرُّ صديقهما، وصلةُ وُدِّهما، وصلةُ رحمهما، وكَفُّ جميع أنواع الأذَى عنهما، والكفُّ عما نهَيا عنه، ومحبَّةُ طول حياتهما، وكثرةُ الاستغفار لهما في الحياة وبعد الموت. والعقوقُ ضدُّ ذلك كله.

ومن أعظم العقوق للوالدين: تحويلهما أو تحويل أحدهما إلى دار المسنين، وإخراجهما من رعاية الولد - والعياذ بالله-، وهذه ليست من أخلاق الإسلام، ولا من كرم الأخلاق.

ومن أعظم العقوق: التكبُّر على الوالدين، والاعتداءُ عليهما بالضرب، أو الإهانة، والشتم والحرمان؛ عن أبي هُريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «إن الجنة يُوجَدُ ريحُها من مسيرةِ خمسمائة عام، ولا يجدُ ريحَها عاقٌّ»؛ رواه الطبراني.

قال الله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (٣٦) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا) (النساء: ٣٦).

عباد الله: إن حقوقَ الوالدين مع ما في القيام بها من عظيم الأجور والبركة، فهي من مكارم الأخلاق، وأكرَم الخصال التي يقومُ بها من طابَتْ سريرتُه، وكرُمَ أصلُه، وزكت أخلاقُه، وطابَت أعمالُه، وجزاءُ الإحسانِ الإحسانُ، والمعروف حقُّه الرعايةُ والوفاءُ، والجميل يُقابَلُ بالجميل، ولا يُنكِرُ المعروفَ والجميلَ إلا مُنحطُّ الأخلاق، ساقط المروءة، خبيثُ السريرة.

قال الله تعالى: (وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (البقرة: ٢٣٧)، وقال تعالى عن عيسى - عليه الصلاة والسلام: (وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) (مريم: ٣٢)، وعن يحيى - عليه السلام-: (وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا) (مريم: ١٤).

وقال عن الشقيّ الهالك الخاسر: (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ) (الأحقاف: ١٧).

وعن أبي هُريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجلٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله؛ من أحقُّ الناس بحُسن صَحَابَتي؟ قال: «أمُّك، ثم أمُّك، ثم أمُّك، ثم أباك، ثم أدناك فأدناك» رواه البخاري ومسلم.

عباد الله: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦)، وقد قال - صلى الله عليه وسلم-: «مَن صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه بها عشرًا».

فصلوا وسلموا على سيِّد الأولين والآخرين، وإمام المرسلين.

الجمعية العمومية العادية لأنصار السنة المحمدية

في عرس اللقاء السنوي انعقدت الجمعية العمومية العادية لأنصار السنة المحمدية بالمركز العام، ٨ ش قولة عابدين.

وقد تم فيها مناقشة البنود العادية للجمعية، وتمت الموافقة عليها بالإجماع، وهي:

١- تقرير مجلس الإدارة لعام ٢٠١٧م.
٢- الميزانية والحساب الختامي لعام ٢٠١٧م.
٣- تعيين مراقب حسابات لعام ٢٠١٨م.
٤- الميزانية المقترحة لعام ٢٠١٨م.

هذا، وقد ساد الاجتماع جو من السكينة والمحبة والمناقشة العلمية الهادفة التي تميز أنصار السنة الفاهمين لدينهم، المحبين لبلادهم.

هذا ولما لم يستجد من أعمال انتهى الاجتماع في تمام الساعة الثالثة عصرًا، والحمد لله رب العالمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي إلى رحمة الله تعالى والد الشيخ عبد المحسن أبي بكر، من مسئولي الدعوة بجمعية أنصار السنة المحمدية بمحافظة الجيزة.



حادثا الرجيع وبئر معونة (١)

إعداد عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد؛

ففي العام الرابع الهجري، وفي شهر صفر بالتحديد، وقع حادثان مؤلمان للمسلمين؛ قتل فيهما أكثر من سبعين صحابيًا من قراء القرآن، ومن أفضل الصحابة، والمحزن في الأمر أنهم قتلوا غيلة وغدرًا ولم يقتلوا في معارك مع المشركين مثل بدر وأحد مثلاً، وهذا الأسلوب من الغدر والخيانة لم تعرفه أخلاق العرب في الجاهلية قبل الإسلام، مما يدل على حقد دفين في نفوس أعداء الإسلام ورغبة أكيدة في القضاء على الاسلام وأهله.

وفي السطور التالية سنتعرض لهذين الحادثين الجللين بالعرض والتحليل، واستخلاص الدروس والعبر بعون الله؛ لكن قبل البدء سنعرض للظروف والأحوال التي وقع فيها هذان الحادثان والدافع وراءهما، بما يعتبر تمهيدًا أو بيانًا، ثم نتعرض للحادثين، والمستفاد منهما.

أولا: الظروف المحيطة بالحادثين:

لا يخفى على الدارس لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم أن الذي أصاب المسلمين في أحد قد جرَّأ أعداءهم من اليهود والمشركين، فظنوا أن الفرصة سانحة أمامهم لينالوا من المسلمين بل فكر بعضهم في اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم، كما حدث من بني النضير، وقد أدى مثل هذا التفكير إلى التحالف بين اليهود والمشركين الذي نتج عنه غزوة الأحزاب فيما بعد، وليس هذا مجال الحديث عن ذلك.

إنما الذي حدث مباشرة قبل حادثي الرجيع وبئر معونة هو محاولة التنمر من الأعراب الذين حاولوا غزو المدينة مباشرة، ومن ذلك:

أ- محاولة بني أسد: في المحرم من السنة الرابعة وفي مطلعه، كان أول مَن فكَّر في التجمع لغزو المدينة هم بنو أسد بن خزيمة؛ فقد سار طلحة وسلمة ابنا خويلد في قومهما ومن أطاعهما يدعوان بني أسد إلى حرب المسلمين بالمدينة، ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم بعزم القوم سيَّر لهم سَريَّة مقاتلة من مائة وخمسين من المهاجرين والأنصار يقودهم أبو سلمة رضي الله عنه، فباغت أبو سلمة بني أسد في ديارهم قبل أن يقوموا بغارتهم على المدينة النبوية، فتفرقوا بعد اجتماع وتشتت أمرهم، وأصاب المسلمون

منهم غنائم كثيرة من الإبل والغنم فاستاقوها، وعادوا إلى المدينة سالمين غانمين.

ب- وفي اليوم الخامس من شهر المحرم في السنة الرابعة حاول خالد بن سفيان الهذلي أن يحشد الجموع لحرب المسلمين، ويحقق الذي فشل فيه بنو أسد، لكنّ النبي صلى الله عليه وسلم، والمسلمون كانوا لهم بالمرصاد، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن سفيان من يأتي برأسه؛ أرسل إليه عبد الله بن أنيس الذي قتل خالدًا هذا وأتى برأسه ووضعها أمام النبي صلى الله عليه وسلم، وبمقتل هذا المتكبر خمدت الفتنة. (راجع زاد المعاد، وسيرة ابن هشام).

ولما فشل أعداء الإسلام في مواجهته علانية لجؤوا إلى المكر والخديعة في تلك المرحلة فوقع حادثا الرجيع وبئر معونة في الشهر التالي من نفس العام، والله أعلم.

ثانيًا: حادث بئر الرجيع:

في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة قَدِمَ وفد قبيلتي عُضل وقارة، وذكروا أن فيهم إسلامًا وطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرسل معهم مَن يعلمهم الدين، ويقرئهم القرآن؛ فبعث ستة من القراء في رواية ابن إسحاق، وأمَّر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي، وفي رواية الإمام البخاري كانوا عشرة وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب (وهي الأصح والله أعلم)، فذهبوا معهم فلما كانوا بالرجيع (وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز بين رابغ وجُدة) استصرخوا عليهم حيان من هذيل، يقال لهم: بنو لحيان فتبعوهم وكانوا ما يقرب من مائة رام، واقتصوا آثارهم حتى لحقوهم فأحاطوا بهم، وكان القراء (قد صعدوا إلى مكان مرتفع من الأرض)، فقالوا للصحابة: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا ألا نقتل منكم رجلاً، فأما عاصم فأبى النزول وقاتلهم في أصحابه، فقُتل سبعة من القراء وبقي ثلاثة: خُبيب بن عدي وزيد بن الدثنة، ورجل آخر، فأعطوهم العهد مرة أخرى، فنزلوا إليهم، ولكنهم غدروا بهم وربطوهم بأوتاد قسيِّهم، فقال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، وأبى أن يصحبهم، فحاولوا معه فأبى فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خبيبًا بنو الحارث، وكان هو الذي قتل الحارث يوم بدر، فمكث عندهم أسيرًا حتى أجمعوا قتله، فاستعار موسى من بنات الحارث ليستحد بها، قالت: «فغفلت عن صبيٍّ لي، فدَرَج إليه حتى أتاه فأجلسه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذاك مني، وفي يده الموسى، فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله تعالى. وكانت تقول: ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خُبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يومئذ ثمرة عنب واحدة، وإنه لموثق بالحديد، وما كان إلا رزق رزقه الله.

فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، قال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم، فقال: لولا أن تروا أن ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أول من سنّ الركعتين قبل القتل، ثم أنشد أبيات من الشعر نختار منها:

ولست أبالي حين أُقتل مسلمًا
على أيّ شقٍّ كان في الله مضجعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع
فلست بمُبْدٍ للعدو تخشُّعًا
ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي

وذكر ابن القيم في زاد المعاد أن أبا سفيان قال لخبيب قبل أن يُقتل: أيسرك أن محمدًا عندنا يضرب عنقه، وإنك في أهلك آمن؟ فقال: لا والله، ما يسرني أني في أهلي، وأن محمدًا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، ثم قتلوه وصلبوه، ووكلوا به من يحرسه وهو ميت ومصلوب، فجاء عمرو بن أمية الضمري فاحتمله بجذعه ليلاً، فذهب به ودفنه. (راجع زاد المعاد ٣/٣٤٦).

وذكر صاحب السيرة النبوية الصحيحة (٣٩٩/١) أن خبيبًا قبل أن يُقتل دعا على المشركين فقال: «اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تُبق منهم أحدًا».

قال ابن إسحاق: وأما زيد فابتاعه صفوان بن أمية، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه، قال له أبو سفيان: أنشدك بالله يا زيد، أتحب أن محمدًا الآن

عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا.

وقد مرَّ بنا موقف عاصم بن ثابت رضي الله عنه الذي أبى النزول على عهد الكفار وقاتلهم حتى قتلوه، وهنا ننقل رواية ابن هشام عنه بعد مقتله حيث قال: «وكان عاصم بن ثابت يُكنى بأبي سليمان، ثم قاتل القوم حتى قُتل وقتل صاحباه، فلما قُتل عاصم أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سُلافة بنت سعد، وكانت قد نذرت- حين قتل عاصم أباها يوم أُحد- لئن قدرت على عاصم لتشربنَّ في قحفه الخمر (أي في عظام رأسه)، فلما حاول القوم أخذ رأس عاصم بعد مقتله حالت بينهم الدَّبْر وبين رأسه (أي وجدوا مظلة ضخمة من زنابير النحل تظلله)، قالوا دعوه حتى يُمسي فيذهب عنه، فبعث الله الوادي (سيلاً)، فاحتمل عاصمًا فذهب به فلم يتمكنوا منه، وكان عاصم قد دعا ربه ألا يمسّه مشركٌ بعد موته، فاستجاب الله له. (ابن هشام ٣/١٥٠).

ثالثًا: مأساة بئر معونة:

وفي الشهر نفسه (صفر) الذي وقعت فيه مأساة الرجيع، وفي العام نفسه وقعت مأساة أخرى أشد إيلامًا من الأولى، وهي التي تُعرَف بمأساة بئر معونة، والكلام هنا لصاحب كتاب الرحيق المختوم (ص٣٠٦) قال: «وملخصها أن أبا براء عامر بن مالك المدعو ملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه إلى الإسلام فلم يُسلم ولم يبعد، فقال: يا رسول الله، لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك لرجوت أن يجيبوهم، فقال: إني أخاف عليهم أهل نجد، فقال أبو براء: أنا جارٌ لهم، فبعث معهم أربعين رجلاً- في قول ابن إسحاق، وفي الصحيح أنهم كانوا سبعين، والذي في الصحيح هو الصحيح، وأمَّر عليهم المنذر بن عمرو أحد بني ساعدة، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم فساروا حتى نزلوا بئر معونة، وهي أرض بين بني عامر وحسر بني سليم- فنزلوا هناك، ثم بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر بن الطفيل فلم ينظر فيه، وأمر رجلاً فطعن حرام بن ملحان بالحربة من خلفه فلما أنفذها فيه ورأى الدم، قال حرام: الله أكبر، فزتُ ورب الكعبة، ثم استنفر عدو الله من فوره بني عامر إلى قتال الباقين، فلم يجيبوه لأجل جوار أبي براء، فاستنفر بني سليم فأجابته عُصَيَّة ورعل وذكوان فجاؤوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد بن النجار كان بين القتلى ولم ينتبه القوم له فعاش حتى قتل يوم الخندق.

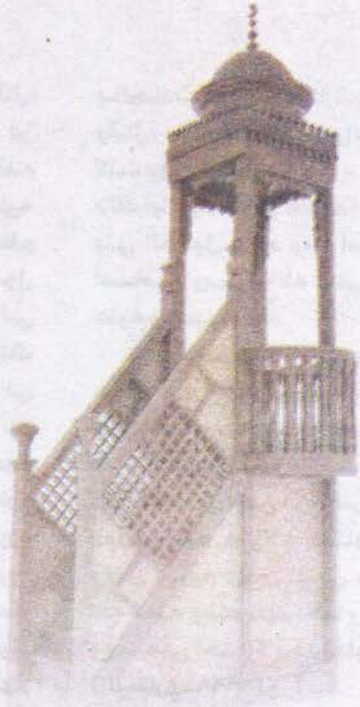
قال ابن إسحاق: فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم بالحادث حزن حزنًا شديدًا، وقال: «هذا عمل أبي براء، قد كنت بهذا كارهًا متخوفًا». فبلغ ذلك أبا براء، فشق عليهم إخفار بني الطفيل إياه وما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه.

عن أنس رضي الله عنه: «قَنَتَ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ يَدْعُو عَلَى أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، قَالَ: بَعَثَ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ يَشُكُّ فِيهِ مِنَ الْقُرَّاءِ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَعَرَضَ لَهُمْ هَؤُلاءِ فَقَتَلُوهُمْ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهْدٌ، فَمَا رَأَيْتُهُ وَجَدَ عَلَى أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَيْهِمْ» (البخاري: ٢٩٩٩).

وفي رواية لمسلم: كان صلى الله عليه وسلم يقول: «اللَّهُمَّ الْعَنْ بَنِي لِحْيَانَ وَرِعْلاً وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ عَصَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ، غِفَارُ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ».

وهكذا لجأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه يدعوه ويستغيث به على هؤلاء القوم الذين غدروا وفجروا وقتلوا هذا العدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل من خيرتهم، وقد كان وقع الحادثين في زمن متقارب جدًا في شهر واحد حادث بئر الرجيع وبئر معونة، كان بينهما أيام قليلة، وفي ظروف شديدة؛ كان ابتلاءً شديدًا للمجتمع الإسلامي في المدينة النبوية.

وفي اللقاء القادم نقف بعون الله مع الدروس والعبر المستفادة، فإلى لقاء أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.



التوحيد أصل الدين وأساس الملة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فعن مُعاذ بن جَبَل، رضي الله عنه، قال كُنتُ رِدْفَ النبيِّ صلَى الله عَلَيْه وسَلَّم على حمارٍ فقال: «يا مُعاذُ هل تدري مَا حَقُّ الله على عِبادِه، ومَا حَقُّ العِبادِ على الله؟ قلت: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «فإنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى العِبادِ أن يَعْبُدُوه، ولا يُشْرِكُوا بِه شَيْئاً، وحقَّ العباد عَلى الله أنْ لا يعذبَ مَنْ لا يُشرِكُ بِهِ شَيْئاً، فقلت: يا رسولَ الله أفلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قال: «لا تُبَشِّرْهُم فَيَتَّكِلُوا» متفقٌ عليه (٢٧٦).

وفي هذا الحديث جملة من الفوائد الجليلة عظيمة النفع والفائدة نركز على أهمها فنقول وبالله التوفيق:

إعداد: معاوية هيكل

من فوائد الحديث:

الفائدة الأولى: فيه بيان عظم كلمة التوحيد وبيان فضلها، حيث بين النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث حقين وكلاهما مرتبط بكلمة التوحيد:

الأول: حق الله على العباد:

وهو أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، فمعرفة التوحيد هي أصل الأصول، وأصل الدين، وأساس الملة، أصل الدين أن تعلم معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، هذا هو أعظم واجب، وهو أول شيء دعت إليه الرسل ودعا إليه نبينا عليه الصلاة والسلام، تفقيه الناس بالشهادتين، وأن يخلعوا الأوثان والأصنام، وأن يعبدوا الله وحده.

هذا أول شيء دعت إليه الرسل، وهذا هو الواجب على كل مسلم مكلف: وأن يوحد الله، وأن يخصه بالعبادة قبل كل شيء، كما قال تعالى: « فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ

لِذَنۢبِكَ» (محمد: ١٩)، وقال تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا» (الإسراء: ٢٣)، وقال تعالى: «وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا» (النساء: ٣٦)، وقال تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (النحل: ٣٦).

فالواجب على كل مكلف: أن يتفقه في الدين، وأن يخص الله بالعبادة، وأن يعرف معنى (لا إله إلا الله)، ومعنى شهادة (أن محمدًا رسول الله)، وأن معنى الأولى: توحيد الله والإخلاص له، وصرف العبادة له دون كل ما سواه، والإيمان بأن هذا هو الحق، وهو أصل الدين وأساس الملة، كما قال الله سبحانه: «ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ» (لقمان: ٣٠) مع الإيمان برسول الله وأنه رسول حقا، محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، وأن الواجب اتباعه والسير على منهاجه، وأن الأعمال لا تقبل إلا بالأمرين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم.

يقول الشيخ ابن أبي العز -رحمه الله- في شرحه: وَلِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَى الْمُكَلَّفِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَا النَّظَرُ، وَلَا الْقَصْدُ إِلَى النَّظَرِ، وَلَا الشَّكُّ، كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُوم. بَلْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ، وَمُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبُلُوغِ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَجْدِيدِ ذَلِكَ عَقِيبَ بُلُوغِهِ، بَلْ يُؤْمَرُ بِالطَّهَارَةِ وَالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ أَوْ مَيَّزَ عِنْدَ مَنْ يَرَى ذَلِكَ، وَلَمْ يُوجِبْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى وَلِيِّهِ أَنْ يُخَاطِبَهُ حِينَئِذٍ بِتَجْدِيدِ الشَّهَادَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الْإِقْرَارُ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَاجِبًا بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَوُجُوبُهُ يَسْبِقُ وُجُوبَ الصَّلَاةِ، لَكِنْ هُوَ أَدَّى هَذَا الْوَاجِبَ قَبْلَ ذَلِكَ." (شرح الطحاوية ٢٥-٢٦)

وهذا قريب من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قال -رحمه الله- في "درء تعارض العقل والنقل": والمقصود هنا أن السلف والأئمة متفقون على أنّ أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ." (١١/٨)

والثاني: حق العباد على الله تعالى:

وهو أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، وهذا فضل عظيم من الكريم جل جلاله، ولكن لماذا سمي هذا حقا على الله تعالى مع إيماننا بأنه لا ملزم له سبحانه ولا موجب عليه؟

قال الشيخ الغنيمان بيانا لذلك في شرحه لكتاب التوحيد ص١٠: "اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم: (وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)، ما المقصود بالحق للعباد على الله؟

فقال قوم: إن للعباد على الله حقاً مستحقاً على سبيل القياس بحقوق العباد، وهذا قول طائفة ضالة وهم المعتزلة، فقاسوا الله جل وعلا على خلقه، ولهذا يقول العلماء: إنهم مشبهة الأفعال ونفاة الصفات، أي: يعطلون صفات الرب جل وعلا ويشبهون أفعال الرب جل وعلا بأفعال خلقه، فيجعلون للعابد أجراً يطلبه من الله، كما أن من عمل عملاً لإنسان فإنه يستحق عليه أجراً، وهذا خطأ محض؛ فإن الله جل

وعلا لا يحق عليه أحد شيئاً، فهو المالك لكل شيء، وهو الخالق لكل شيء.

وقال فريق آخر: إنه ليس للعباد على الله حق يطلب، وإنما ذلك مجرد وعد فقط، فـ(حقه) يعني: تحقق موعوده.

أي أن وعده حق، وما وعد به سيقع، فقد وعد أهل الخير بالإثابة، ووعد أهل الشر والشرك بالعقاب، فهذا معنى الحق عندهم، وهذا أيضاً ليس صحيحاً.

القول الثالث وهو الصواب: أن للعباد على الله حق أحقه هو على نفسه جل وعلا، ولم يلزمه إياه أحد من الخلق، بل هو تفضل منه وإحسان ورحمة، كما كتب على نفسه الرحمة، ولهذا يقول جل وعلا: (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (الروم:٤٧)، ولا يوجب أحد حقه عليه، ويقول جل وعلا: (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (الأنعام:٥٤).

فالحق الذي جعله للعباد: أن يثيب الطائع الإثابة التي يستحقها، ولهذا قال: (ألا يعذب من لا يشرك به شيئاً)، هذا هو الحق الذي أحقه الله جل وعلا على نفسه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل، ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق، فمن الناس من يقول لا معنى للاستحقاق إلاّ أنه أخبر بذلك ووعده صدق، ولكن أكثر الناس يثبتون استحقاقاً زائداً على هذا، كما دلّ عليه الكتاب والسنة قال تعالى: «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)» (الروم٤٧)، ولكن أهل السنة يقولون هو الذي كتب على نفسه الرحمة، وأوجب هذا الحق على نفسه لم يوجبه عليه مخلوق، والمعتزلة يدعون أنه أوجب عليه بالقياس على الخلق، وأن العباد هم الذين أطاعوه دون أن يجعلهم مطيعين له، وأنهم يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب، وغلطوا في ذلك). انتهى. من "تيسير العزيز الحميد".

نفي الشرك يستلزم التوحيد

(وقوله ألا يعذب من لا يشرك به شيئا) قال الحافظ: "اقتصر على نفي الإشراك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء، ويستدعي إثبات الرسالة باللزوم؛ إذ من كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كذب الله، ومن كذب الله فهو مشرك، وهو مثل قول القائل: ومن توضأ صحت صلاته. أي: مع سائر الشروط. اهـ).

يعني: أن قوله: (يعبد الله ولا يشرك به شيئاً) يستدعي فعل كلما جاء به الرسول؛ لأن هذا أمر معلوم، يعني: فلا يقل قائل: إن هذا ليس فيه ذكر الصلاة، ولا الصوم، ولا الحج، ولا كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما قال: (أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً).

فالعبادة هي أن تفعل ما أمرك الله جل وعلا به على لسان رسوله، وتترك ما نهاك عنه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، ولابد في عبادة الله أن تكون مع الذل والخضوع والتعظيم، وترك ما نهى عنه مع الرجاء والخوف، هذه هي العبادة.

الفائدة الثانية: الحديث دليل على فضل معاذ وعظيم منزلته حيث شرف بإرداف النبي- صلى الله عليه وسلم- له، وأيضا تخصيصه بهذا العلم.

وفيه كذلك أدب

معاذ- رضي الله عنه- فهو حين سُئل قال الله ورسوله أعلم، وحين علم استأذن من النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يعلم الناس ليستبشروا، وهكذا ينبغي لطالب العلم مع شيخه.

"ومعاذ بن جبل رضي الله عنه من علماء الصحابة وأفاضلهم وأكابرهم، ومن السابقين إلى الإسلام، وهو أنصاري من الخزرج، وجاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: (يا معاذ! والله! إني لأحبك؛ فلا تدعن دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن معاذاً يحشر أمام العلماء برتوة)، والرتوة: إما أن تكون المكان المرتفع، أو أن يكون أمامهم بمسافة لفضله

وهو ممن شهد العقبة الثانية، وغزوة بدر وما بعدها، وآخى النبي- صلى الله عليه وسلم- بينه وبين عبد الله بن مسعود- رضي الله عنهما- وكان عمره حين أسلم ثماني عشرة سنة، وهو أحد الأربعة الذين قال النبي- صلى الله عليه وسلم- عنهم خذوا القرآن عن أربعة، وهو من قال فيه النبي- صلى الله عليه وسلم- "أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل" فهو من علماء الأنصار- ولذا بعثه النبي- صلى الله عليه وسلم- في آخر حياته إلى اليمن نائبا عنه داعيا ومعلما وقاضيا، وعاد في خلافة أبي بكر وولاه عمر على الشام بعد أبي عبيدة، ثم مات من عامه في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة عن أربع وثلاثين سنة- رضي الله عنه. (انظر: أسد الغابة ١٩٤/٥، وانظر: فتح المجيد ص٤٣، والإصابة ٢١٩/١٠).

الفائدة الثالثة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

قال الشيخ ابن عثيمين في شرحه لكتاب التوحيد: "هذه ليست على إطلاقها؛ إذ إن كتمان العلم على سبيل الإطلاق لا يجوز لأنه ليس بمصلحة، ولهذا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً ولم يكتم ذلك مطلقاً، وأما كتمان العلم في بعض الأحوال، أو عن بعض الأشخاص لا على سبيل الإطلاق؛ فجائز للمصلحة؛ كما كتم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عن بقية الصحابة خشية أن يتَّكلوا عليه، وقال لمعاذ: "لا تبشّرهم فيتّكلوا". ونظير هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: "بشّر الناس أن من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنّة(مسلم: كتاب الإيمان/باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة)" بل قد تقتضي المصلحة ترك العمل؛ وإن كان فيه مصلحة لرجحان مصلحة الترك، كما هم النبي صلى الله عليه وسلم أن يهدم الكعبة ويبنيها على قواعد إبراهيم، ولكن ترك ذلك خشية افتتان الناس، لأنهم حديثو عهد بكفرٍ(البخاري: كتاب العلم، باب ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، ومسلم: كتاب الحج، باب نقض الكعبة).

وللحديث بقية بإذن الله تعالى نذكر فيها تتمة الفوائد، والحمد لله رب العالمين.

واحة

من نور كتاب الله

تحذير المؤمنين من مخالفة الكتاب والسنة

قال الله تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ » (الأنفال: ٢٤).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحمل الأذى

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من جرعة أعظم أجرًا عند الله من جرعة غيظ كظمها عبدٌ؛ ابتغاء وجه الله» (سنن ابن ماجه وحسنه الألباني).

من فضائل الصحابة

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم، فاقتدوا باللَّذَيْن من بعدي؛ وأشار إلى أبي بكر وعمر» (جامع الترمذي وصححه الألباني).

من أقوال السلف

عن الحسن البصريّ قال: «إنّما هلك من كان قبلكم حين تشعّبت بهم السُّبُل، وحادوا عن الطّريق فتركوا الآثار، وقالوا في الدّين برأيهم فضلّوا وأضلّوا» (الاعتصام للشاطبي).

من جوامع الدعاء

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم احفظني بالإسلام قائمًا، واحفظني بالإسلام قاعدًا، واحفظني بالإسلام راقدًا، ولا تُشمت بي عدوًا ولا حاسدًا، اللهم إني أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك». (رواه الحاكم وحسنه الألباني في الجامع الصغير).

التوحيد

إعداد: علاء خضر

من دلائل النبوة

حفظ الله للرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، كان ينقل الحجارة معهم للكعبة، وعليه إزار، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة؟ قال: فحلَّه فجعله على منكبيه فسقط مغشيًا عليه، فما رُؤِيَ بعد ذلك اليوم عريانًا. (صحيح البخاري).

من صفات العُبّاد

عن سليمان بن المغيرة قال: سمعت ثابتًا البنانيّ يقول: «لا يسمى عابدًا أبدًا عابدًا، وان كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان: الصوم والصلاة؛ لأنهما من لحمه ودمه» (سير أعلام النبلاء).

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«حسنات الأبرار سيئات المقربين»: باطل لا أصل له. وقد أورده الغزالي في «الإحياء» (٤٤/٤). قال الألباني: وأما اعتبار الحسنة التي هي قربة إلى الله تعالى سيئة بالنظر إلى أن الذي صدرت منه من المقربين، فمما لا يكاد يُعْقَل. (السلسلة الضعيفة للألباني).

حكم ومواعظ

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لا تنظروا إلى صلاة أحدٍ ولا إلى صيامه، ولكن انظروا إلى مَن إذا حدَّث صدق، وإذا ائتمن أدَّى وإذا أشفى ورع» (شعب الإيمان).

من معاني الأحاديث

(خمر) فيه «خمِّروا الإناء وأوكئوا السقاء» التخمير: التغطية. ومنه الحديث «إنه أُتيَ بإناء من لبن، فقال: هلا خمَّرته ولو بعودٍ تَعرضه عليه» (النهاية لابن الأثير).

دراسات شرعية

الحلقة (١٠٦)

أثر السياق في فهم النص

حجاب المرأة المسلمة (١٦)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ما يزال حديثنا متصلاً -بفضل الله تعالى- حول أدلة الحجاب من القرآن والسنة، تكلمت عن آيات الحجاب وانتقلت إلى الأحاديث ونواصل البحث.

الحديث الثالث عشر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة، ثم يخطب بعدُ، فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فكأني أنظر إلى حين يجلِّس الرجال بيده، ثم أقبل يشقهم، حتى أتى النساء مع بلال، فقال: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ) (الممتحنة: ١٢)، حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: أنتن على ذلك؟ فقالت امرأة واحدة، لم يجبه غيرها: نعم يا رسول الله - لا يدري الحسن من هي (الحسن بن مسلم أحد رواة الحديث) قال: فتصدقن، وبسط بلال ثوبه، فجعلن يلقين الفتخ (الخواتيم العظام وقد تلبس في أصابع الرجلين) والخواتيم في ثوب بلال) (متفق عليه).

وفي رواية للبخاري:... فرأيتهن يهوين بأيديهن يقذفنه.... وفي رواية مسلم للحديث عن جابر رضي الله عنه:.... فقامت امرأة من سطة النساء (من أوساطهن حسنًا ونسبًا) سفعاء الخدين (فيهما تغير وسواد) فقالت: لمَ يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن الشكاة (الشكوى) وتكفرن العشير..

الاستدلال من الحديث:

أولاً: لمن قال بجواز كشف الوجه والكفين:- قال ابن حزم معلقًا على حديث ابن عباس رضي الله عنهما: "فهذا ابن عباس بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أيديهن، فصح أن اليد من المرأة والوجه ليسا عورة، وما عداهما ففرض عليها ستره". (انظر المحلى ٢/٢٤٨).

وقال الشيخ الألباني: "والحديث واضح الدلالة على ما من أجله أوردناه (وهو جواز إظهار الوجه والكفين)، وإلا لما استطاع الراوي أن يصف تلك المرأة بأنها سفعاء الخدين" (جلباب المرأة المسلمة، ص٦٠ الهامش).

وقال: "فإنه مما لا شك فيه عند العلماء أن إقراره

صلى الله عليه وسلم المرأة على كشف وجهها أمام الرجال دليل على الجواز، وإذا كان الأمر كذلك، فمن المعلوم أن الأصل بقاء كل حكم على ما كان عليه حتى يأتي ما يدل على نَسْخه ورفعه، ونحن ندّعي أنه لم يأت شيء من ذلك هنا، بل جاء ما يؤيد بقاؤه واستمراره كما سترى، فمن ادَّعى خلاف ذلك فهو الذي عليه أن يأتي بالدليل الناسخ، وهيهات هيهات". (جلباب المرأة المسلمة ص٧٦).

ثانيًا: من قال بعدم جواز كشف الوجه والكفين: قال الشيخ ابن عثيمين عن الحديث: ".. فإما أن تكون هذه المرأة من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحًا، فكشف وجهها مباحٌ، ولا يمنع وجوب الحجاب عن غيرها أو يكون قبل نزول آية الحجاب، فإنها كانت في سورة الأحزاب سنة خمس أو ست من الهجرة، وصلاة العيد شرعت في السنة الثانية من الهجرة". (انظر ثلاث رسائل في الحجاب ص٤٧).

وكذلك قال الشيخ السندي: ".. وقد تكون من القواعد.. أو كانت هذه القصة قبل نزول الحجاب" (انظر ثلاث رسائل في الحجاب ص٩٣).

وقال الشيخ التويجري: "وأما حديث جابر رضي الله عنه فليس فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى تلك المرأة سافرة بوجهها وأقرها على ذلك، حتى يكون فيه حُجَّة لأهل السفور. وغاية ما فيه أن جابرًا رضي الله عنه رأى وجه تلك المرأة، فلعل جلبابها انحسر عن وجهها بغير قصد منها، فرآه جابر، وأخبر عن صفته، ومَن ادَّعى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد رآها كما رآها جابر وأقرها فعليه الدليل.

ومما يدل على أن جابرًا رضي الله عنه قد انفرد برؤية وجه المرأة التي خاطبت النبي صلى الله عليه وسلم أن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري رضي الله عنهم رووا خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وموعظته للنساء، ولم يذكر واحد منهم ما ذكره جابر رضي الله عنه من سفور تلك المرأة وصفة خديها.. وهذا يقوي القول بأن جابرًا رضي الله عنه قد انفرد برؤية وجه تلك المرأة ورؤيته لوجهها لا حُجة فيه لأهل التبرج والسفور؛ لأنه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآها سافرة بوجهها وأقرها على ذلك، وعلى تقدير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد رآها وأقرها على السفور، فذلك محمول على إحدى حالتين: إما أن يكون ذلك قبل الأمر للنساء أن يضربن بخمرهن على جيوبهن وأن يدنين عليهن من جلابيبهن، وإما أن تكون تلك المرأة من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحًا". (انظر الصارم المشهور ص١١٧-١١٨).

مناقشة استدلالات الفريقين:

الحديث فيه وصف لوجه المرأة السائلة، أما رؤية أياديهن وهن يتصدقن بالذهب، فارتداء القفازين لا يمنع من إطلاق اليدين عليهما، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أنه يتسامح في اليدين عند المناولة، وإمساك الأشياء ما لا يُتسامح في الوجه، فيبقى الكلام على كشف الوجه. وهذا يرد عليه احتمالان: الاحتمال الأول: أن تكون هذه المرأة من القواعد من النساء التي يجوز لها كشف وجهها. الاحتمال الثاني: أن تكون هذه القصة قد وقعت قبل نزول آية الحجاب.

أولاً: الاحتمال الأول: لا يخفى أن هذا الاحتمال يحتاج إلى إثبات ومعرفة من هذه المرأة التي تحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، لنعلم هل هي من القواعد أم ليست منهن؟ يقول الحافظ ابن حجر: "ولم أقف على تسمية هذه المرأة إلا أنه يختلج في خاطري أنها أسماء بنت يزيد بن السكن التي تُعرَف بخطيبة النساء، فإنها روت أصل هذه القصة في حديث أخرجه البيهقي والطبراني وغيرهما عن طريق شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى النساء وأنا معهن، فقال: يا معشر النساء إنكن أكثر حطب جهنم، فناديت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عليه جريئة: لمَ يا رسول الله؟ قال: لأنكن تكثرن اللعن وتكفرن العشير... الحديث. فلا يبعد أن تكون هي التي أجابته أولاً (بنعم)، فإن القصة واحدة، فلعل بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر كما في

نظائره.. وقد روى الطبراني من وجه آخر عن أم سلمة الأنصارية وهي أسماء المذكورة أنها كانت في النسوة اللاتي أخذ عليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخذ... الحديث". (انظر فتح الباري ٢/٤٦٨).

فإن كانت هي أسماء بنت يزيد، على ما رجَّح الحافظ ابن حجر، فإن أسماء بنت يزيد لم تكن من القواعد من النساء. فقد جاء في ترجمتها: أنها شهدت اليرموك وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها، وعاشت بعد ذلك دهرًا. (انظر الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر ٨/٢١-٢٢).

وإن لم تكن صاحبة السؤال هي أسماء بنت يزيد كما رجَّح الحافظ ابن حجر، فيبقى الاحتمال الأول وهو كونها من القواعد، مجرد احتمال غير ثابت ويرد عليه أنها من الممكن أن تكون من غير القواعد، وبالتالي تطرق الاحتمال إلى استدلال الفريقين، وكما هو مقرَّر فإن النص إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال.

الاحتمال الثاني: أن تكون هذه القصة وقعت قبل نزول آية الحجاب. وهذا يحتاج إلى معرفة تاريخ موعظة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء، هل كانت قبل نزول الحجاب، وبالتالي يصح قول من قال أن هذا الحديث كان قبل الحجاب، وبالتالي فلا حُجة فيه لجواز كشف الوجه. فهل نستطيع أن نقف على تاريخ هذا الحديث؟

يقول الشيخ الألباني عن احتمال أن يكون هذا الحديث وقع قبل الحجاب: "وجوابنا عليه من وجهين: الأول: أن الظاهر من الأدلة أنه وقع بعد الحجاب، وقد حضرنا في ذلك حديثان: الأول: حديث أم عطية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر النساء أن يخرجن لصلاة العيد. قالت أم عطية: إحدانا لا يكون لها جلباب. قال: لتلبسها أختها من جلبابها (متفق عليه)؛ ففيه دليل أن النساء إنما كن يخرجن إلى العيد في جلابيبهن، وعليه فالمرأة السفعاء الخدين كانت محتجبة، ويؤيده الحديث الآتي، وهو: الحديث الثاني: حديثها أيضًا (أم عطية رضي الله عنها) قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الأنصار في بيت، ثم أرسل إليهن عمر بن الخطاب، فقام على الباب، فسلَّم عليهن، فرددن السلام، فقال: أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلن: مرحبًا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبرسوله، فقال: تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئًا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف؟ فقلن: نعم. فمد عمر يده من خارج الباب ومددن أيديهن من داخل، ثم قال: اللهم اشهد، وأمرنا أن نخرج في العيدين العتَّق والحيَّض، ونهينا عن اتباع الجنائز، ولا جمعة علينا، فسألته عن البهتان، وعن قوله: (ولا يعصينك في معروف)؟ قال هي: النياحة (حسنة الألباني في جلباب المرأة المسلمة، وقال الأرناءوط في تعليقه على المسند عن الحديث: حديث صحيح (المتن) دون ذكر عمر فيه، وهذا إسناد ضعيف (انظر مسند أحمد ٣٤/٣٩٤-٣٩٥).

ووجه الاستشهاد به إنما يتبين إذا تذكرنا أن آية بيعة النساء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ (الممتحنة: ١٢) إنما نزلت يوم الفتح. ونزلت بعد آية الامتحان... وفي البخاري عن المسور أن آية الامتحان نزلت في يوم الحديبية، وكان ذلك سنة ست على الصحيح، كما قال ابن القيم في (الزاد)، وآية الحجاب إنما نزلت سنة ثلاثة وقيل خمس حين بنى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش. فثبت من ذلك أن أمر النساء بالخروج إلى العيد إنما كان بعد فرض الجلباب، ويؤيده في حديث عمر أنه لم يدخل على النساء وإنما بايعهن من وراء الباب، وفي هذه القصة أبلغهن أمر النبي صلى الله عليه وسلم النساء بأن يخرجن للعيد، وكان ذلك في السنة السادسة عقب رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية بعد نزول آية الامتحان والبيعة، كما تقدم.

وبهذا تعلم معنى قول أم عطية في أول حديثها الثاني: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، أي من الحديبية، ولا تعني قدومه إليها من مكة مهاجرًا، كما قد يتبادر إلى الذهن لأول وهلة". (انظر جلباب المرأة المسلمة صـ ٧٤-٧٦).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

الأخوَّة صفةٌ نادرةٌ ولزماننا مغادرة



عقد الأخُوَّة الصحيح لا ينقطع على طول الزمان الفسيح (٣)

إعداد: د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله المليك العلام، والصلاة والسلام على خاتم الرسل ومسك الختام، وعلى آله البررة الكرام، وصحابته الغُرّ الأعلام، طالما جرَتْ على الصحائف الأقلام، وغرَّد على الغُصون والأفْنَان الحمامُ، ومن تبعهم على دربهم ونهجهم إلى يوم الحشر والزحام.

الصدق ركن الأخوة المتين:

هذا ركنٌ ثانٍ من تتمة أركان عقْد الأخُوَّة الصحيح أزفُّه إليكَ أخي الكريم كي تجعله أصلًا تتدبَّره، ولتقف عليه عند كل ضائقة وعُسْرة، وتردُّ إليه كلَّ ما يَردُ عليْك لتأتي البيوتَ من أبوابها لا سيَّما في كلِّ محنة وشدَّة، فإذا حقَّقتَ الأوَّلَ وهو حسنُ النيَّة فَإليكَ الثاني وهو الصِّدق يأخذُ برقبَةِ الأوَّل ويُمسك بحُجْزته.

الغرض من الصدق:

وغرضي من الكلام عن الصِّدق في التآخي أن أتوصَّل معكَ إلى معْنَاه، وتحقيق مغْزَاه، والناس يُميَّز بينهم الصدقُ تمييزَ الطيِّب من الخبيث، فلولا امتحانُ الصدق لم تَعْرفْ كيف يختلفُ الناس وتتفق، ولا منَ أيـن تجتمعُ وتفترق؛ إذ الناس يُقاسَوْن بالصِّدق ويُوزَنُون به، ولولا اشتراط الصدق في الأخوة لذهبت أحوال الناس إلى عداوات وبغض وشنئان وقطيعة فوق ما نرى حتى يصبحوا أشتاتًا وفرقًا ومزقًا.

أصناف النَّاس في الصِّدق:

فمن النَّـاس من يكونُ الصـدقُ ركيـزةً في أخلاقـه وعُـمْـدةً في صفاته، وهـذا في جَوْهرهُ شريفٌ كالذَّهب الإبريز يزيدُ في قيمته، ويرتفع في قدره ويصل إلى قمَّته، فهو يدور ما بين قيمة تَغْلُو، وقمَّة منزلة تعلُو، وأنت لو اخْترته وكان منَ أهل الرضا سيقف إلى جنبك ولو كنتَ على جَمْر الغضَا، وسيُغمد سيفَ الحَسَد ويربطُ الأخُوَّة بحبلٍ من مَسَد.

ومن النّاس صنفٌ آخر لا يَعُدُّ الصدقَ شيئًا بل يراه من صفات الدّراويش والمعتوهين، وهذا من الأغرار وذوي الزّلل والعثار ويكون أحدُهم كالمعدن المزيّف لا يزيد مع الأزمان إلا رداءة وصدأ، فلا يعي وعْيَك ثم هو يحسُدُك إذا لم ينلْ سعيَك، فتجدُه يجعل محاسنَك عُيُوبًا وحسناتك ذنوبًا، ويرشقُك-ما وجدَ إلى ذلك سبيلًا- بأليم السّهام، ويفعلُ معك أحوالَ اللئام، ولا يصحبُك بأخلاق الدين والإسلام ويحرّف الكلم عن مواضعه، ويُوقع الأمرَ في غير مواقعه، ويعكس المعانيَ ويقلبُها، ويحرّفها عن وجوهها ويسلبُها، فهو كالنابح بالقبائح والطاعن القادح المشتغل بنشر الفضائح، شغله التّجَرّي على إخوته لا التثبُّتُ والتّحَرّي، وعملُه التّغنّي بالباطل والتّجنّي.

هذا ما أرادُوا فما أحسنُوا ولا أجادُوا، وكل لبيب مقصودٌ، وعن بلوغ الغرض محاربٌ ومصدودٌ؛ ولا عجب فكل ذي نعمة محسودٌ، ومع كل أسف هذا ما جرى فيه الزمنُ على عاداته في مطالبته أهل الفضل بنقصه وتِرَاته وقصدهم بإساءاته، أما أهل النقص فهم يلهون ويلعبون ويفسدون ولا يصلحون ومع ذلك لا يكاد ينكر عليهم منكر ولا يتعقبهم متعقب في نقائصهم وهذا من بلايا آخر الزمان فالله المستعان.

لذلك كانت صحبة هذا الصنف زيغ وفساد، وكان البعد منه سلامة من العيب ونجاة من الشين ومما يخفيه الغيب، وإنّ منْ براهين الصدق في الأخوّة عدم المحاباة ولا متابعة الهوى، ولا الإفراط في المدح ولا التفريط في الذم، مع مصاحبة الثبات في حالتي الكُره والسّخط، ولزوم الحق والجادة في صفتي الرضا والغضب.

جمال صدق الأخوة وجلاله:

الصدقُ خلقٌ حسَنٌ لفظُه وجاد معناه، فله حلاوةٌ في الصّدر وجلالةٌ في النّفس، من سلك مسلكَه، أدرك من الطّمأنينة حظًا حُرِمَه غيْرُه وما أدركَه، ويؤدي هذا المعنى وزيادة قوله صلى الله عليه وسلم: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإنّ الصّدق طمأنينة، والكذب ريبة" رواه الترمذي (٢٥١٨) وصحّحه.

ووجودُه للأخوّة كالحبْل الممْدُود والعهْد المعْهُود، وهو عُنوان الأخوّة فبدونه ينفسخ عقدُها وبفوَاته يفُوت نسيئتُها ويضيع نقدُها؛ لأنّ الصدقَ مفتاحُ الخير وإقليدُ البرّ لذا أمر الله تعالى بصحبة أهله فقال: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين»، وقال عليه الصلاة والسلام: "إنّ الصدقَ يهدي إلى البرّ، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصْدُق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقًا" رواه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم(٢٦٠٧).

وقد علّق النبي صلى الله عليه وسلم الفلاح على الصدق فقال في حديث الأعرابي الذي سأل عن شرائع الإسلام ثم عاهد نفسه على الصدق في أدائها دون زيادة ولا نقصان: "أفلح إن صدق" رواه البخاري (١٨٩١) ومسلم(١١).

وقال الفضيل بْن عياض: ما من مضغة أحب إلى الله من لسان صدوق، وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب. (روضة العقلاء: ص ٥٢) ولله در القائل:

الصّدق أولى ما به
دان امرؤٌ فاجعلْه دينا
ودع النّفاقَ فما رأيْتُ
منافقًا إلا مهينا

واعلم أنّ الصدقَ من المناقب الحميدة والمآثر الحسنة التي تقرُّ بها عيونُ أهل العرفان، وتَشْجى بها حلوقُ أهل الطغيان، والظفر به يُحمَد أولاه ويُثْنى على أخراه، وفقدُه فقرٌ لا يُعلَم مَدَاه وهَمٌّ لا ينقضي مُنتهاه، وهو دليلٌ على الرُّشْد كما أنه مَنبعُ الهُدى ومعدنُ الصّواب فمن رُزقه فقدْ وُفّق إلى سواء الطّريق وهُدي وأعطي حظًا حَسَنًا من التّوفيق، ومن الشرّ نَجا ووُقي، فلا ينبغي أن يأسى على ما فاته من الدنيا فهل من مدكر أم على قلوب أقفالها؟! وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما- أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم قال: "أربع إذا كنّ فيك فلا عليك ما فاتك في الدّنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة في طعمة" (رواه أحمد (١٧٧/٢) وحسنه المنذري في الترغيب ٥٨٩/٣ وصححه الشيخ شاكر).

قيمة الأخ الصادق:

إنّ الأخَ الصادقَ يكون دائمًا ردءًا لك وظهيرًا ومعينًا، فيُشركُك في أمرك ويُشير عليْك بمقتضى

صدقه وأمانته، ويؤمن بك إذا كفرَ النّاس، ويفي لك إذا غدَرُوا، ويعرفك إذا أنكرُوا، ويُقبل عليْك إذا أدْبَروا، فاجعَل الصدقَ وأهله عمادَ قلبك وجلاءَ بصرك تنجو وتفلح وتحسّ بالثقة لما تجدُه من راحة الضّمير والوُجْدان.

إنّ صادقَ الأخـوّة من يكـون صدقُه فعلًا وطبعًا، لا قولًا وسجعًا، فيكون باطنُه وظاهرُه سواءً وتجدُ مظهرَهُ ومخبرَهُ واحدًا فلا ينطوي إلا على خيْر بلا ضيْر، بخلاف الكذّاب فإنّك ترى فيه الخلافَ والشقاقَ، والوقيعةَ والنفاق، ومثلُ هذا لا يُفلح علاجُه، ولا يصلح على مدى الأيّام مزاجُه ولو ظننتَ خيرًا فهو مما يتعلّق بالظاهر أما باطنُه فلا يمكن ترميمُه، ولا يتسنّى تقويمُه لأنه أُسّس على فساد، وبُنِيَ على خلل وعناد. قال البحتري:

إذا ما الجرحُ رُمَّ على فساد
تبيّنَ فيه تفريطُ الطبيب

فتمسّك بصاحبك الصادق، واعضضْ عليه بناجذيك، ولا تتجاوزه فتندم، واجتهد في سلوك سبله الواضحة، وتـأدب بـآداب أهله اللائحة، ولعلنا إذا قمنا بذلك نحقّق من أخلاق أسلافنا فيُقال: ما أشْبَه الليلة بالبارحة فقد كان الأسلافُ يعْتنون بالصِّدْق ويُعلِّمونه أبناءَهم ويُوصونهم به ويؤكِّدون ذلك.

قالَ إسْمَاعيل بْن عُبَيْد الله: كان عَبْد الملك بْن مراون يأمرني أن أجنِّب بنيه السّمَن وكان يأمرني أن لا أطعمهم طعامًا حتى يخرجوا إلى البراز، وكان يقول: علِّم بنيَّ الصدقَ كما تعلِّمُهم القرآن وجنِّبْهم الكذب وإنْ فيه كذا وكذا يعني القتل. (روضة العقلاء ص: ٥١)، فاحذر فاقد الصدق فإنه تالف الظاهر فاسد الباطن.

إذا مَا المرءُ أخطأهُ ثلاثٌ
فبِعْهُ ولو بكفٍّ من رماد
سلامَةُ صدره والصدقُ منْه
وكتمانُ السرائر في الفؤاد

ثمرة تحقيق صدق الأخوة:

فإذا حقّقتَ الصدقَ وأخذتَ من تلك العوارف وأويْتَ إلى ظلها الـوارف فاحمد الله تعالى على تلكَ النِّعْمة؛ إذْ قد طافَ بك من لطائف الخَيْر خيرُ طائف، وساعتُها لن تجدَ أيْمَـنَ طائرًا، ولا أجمل أولًا وآخرًا، ولا أهْدى إلى سَبيل الإحسان، ولا أجلبَ للاستحسان من أن تتمسّك بالصِّدق في الأُخُوّة.

واعـلم أنّـك لـو أردتَ أن تَحْكم في تفاضل الأخـلاق إذا أردتَ أن تَقْسم بينها حظوظَها من الاستحسان، وأن تَعْدل بينَها في القسْمة بصائب القسطاس والميزان فلن تجدَ أعظمَ جِدّةً ولا أعْرقَ أصالةً ولا أجْمَعَ لخصَال الخير ولا أوْعَبَ لصفات البِرِّ من الصِّدْق فالزمْه تنجُ وتُفْلح وحينَئذٍ ستجدُ نفسَك بـالأدب مُتحقّقًا وبحُسْن الخُلُق متخلّقًا وبصفات الطّالحين مُتعلقًا ويكون لك في هذه الآداب قـدمُ صدق وساق، وباع خير وساع، وكرم طباع وحسن انطبَاع، وإن رُمْتَ دليلًا فانظر إلى الصادقين وما على مُحيّاهم من البهاء والنُّور وتأمّل في قِلّتهم فسترى صدقَ ما أقول.

خطورة فقد الصّدق:

بـدون الصِّدق تصيرُ القرائح عن تصرُّفها مغلولةً، وبفقْده تجدُ العقولَ عن فهْمها معقولةً، ومن غيره تصبحُ الأذهانُ عن سُلطانها معزولةً، أما القلوب فتجدها خاويةً من ودائعها، ومسجونةً في مواضعها، وحينئذ لا يدل شيءٌ على سرائرها، ولا يُـبرز مكنونَ ضمائرها، بل لا يظهر للعيانِ مدحٌ وتزْيين من ذمٍّ وتهْجين وحينئذ ينحل عقال الأخـوّة ويُفكّ رباطُها فتذهب كسراب بقيعة أو كثبانٍ بعدما كان أخضرَ يانعًا صار كهَشيم تذْرُوه الرِّيَاح.

أخي رُبَّ صديق فاقد للصّدق فوالاك قولُه وأعجبكَ ظاهرُ فعلَه، ثمَّ عاداكَ باطنُه وكرهك قلبُه وهـذا ضـرره أشـد ممـن لا يُظاهـرك في الظاهر ولا في الباطن لأنّ الأولَ يصْدمُك ويفتُّ في عضُدك فتُصبح بمنزلَة الزّنيم الملصَق بالقوم الذي لا يَقبلونه ولا يمتعضون له ولا يذبُّون دُونه بل يحطون عليه أما الثاني فهو واضح لا يخادعك وإن كان يضُرُّك في العلَن.

ألا رُبَّ من تَغْتَشُّهُ وهو لك ناصحٌ
ومؤتمنٌ بالغيْب غيرُ أمين

ومثْل هذا المخادع لا يصلح معه إلا الصُّرْم والقطيعة، ولا يجدي معه الاختلاط أو الوقيعة، ولا تزجره إلا المنابذة لا المجابذة، فلا تشتفي منه بعلاج لفساد الفطرة منه والمزاج، فاللهم اجعلنا من الصادقين وارزقنا محبّتَهم وصُحبتَهم.



فقر المشاعر

الارتقاء بالمشاعر (٢)

إعداد: د. محمد إبراهيم الحمد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد أوردنا في العدد السابق الأسباب التي توصل إلى إحياء المشاعر والرقي بها، وتقطع دابر الجفاء، وتزيل علله وأدواءه، ونستكمل الحديث فنقول- وبالله تعالى التوفيق-:

لقد تتابع السلف الصالح على هذا الخُلق النبيل، فلو نظرنا في سِيَر أكابرهم لرأينا ذلك واضحًا، فهذا ابن مسعود رضي الله عنهما يقول: «كان معاذ بن جبل أمة قانتًا لله حنيفًا ولم يكن من المشركين»، تشبيهًا له بإبراهيم الخليل عليه السلام. (البخاري: ٤٢٣٢، ومسلم: ٢٤٩٩).

فهذا الثناء من ابن مسعود رضي الله عنه دليل على إنصافه، وزكاء نفسه؛ فمع أنه من أكابر علماء الصحابة، ومع أنه أسبق إسلامًا وأكبر سنًا من معاذ، إلا أنه لم يجد في نفسه غضاضة من الثناء عليه، وإنزاله منزلته اللائقة به.

وهكذا شأن الصحابة رضي الله عنهم وبمثل هذا الخُلق النبيل سادوا، وارتفعوا فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وكانوا أكثرهم اتفاقًا ووئامًا، وأقلهم خلافًا وتفرقًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «منهاج السنة النبوية» (٦/٣٤): «ومن استقرأ أحوال العالم في جميع الفِرَق يتبين له أنه لم يكن قط طائفة أعظم اتفاقًا على الهدى والرشد، وأبعد عن الفتنة والتفرق والاختلاف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم خير الخلق بشهادة الله لهم بذلك؛ إذ يقول تعالى: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » (آل عمران: ١١٠).

وهكذا درج من جاء بعد الصحابة من السلف على هذا المنوال؛ فهذا الإمام أحمد رحمه الله يقول: «أتدري مَن الإمامُ؟ الإمام سفيان الثوري، لا يتقدمه أحدٌ في قلبي».

وقال: «قال لي ابن عيينة: لن ترى بعينك مثل سفيان». (انظر: مواعظ الإمام سفيان الثوري للشيخ صالح الشامي ص٦).

وقال سفيان الثوري رحمه الله: «كان إبراهيم بن

أدهم يشبه إبراهيم الخليل، ولو كان في الصحابة لكان رجلاً فاضلاً». (المصدر السابق ص١٠).

ويقول أيضًا في ابن المبارك رحمه الله: «إني لأشتهي أن أكون من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك؛ فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام». (سير أعلام النبلاء ٨/٣٨٩).

وقال علي بن زيد: حدثني عبد الرحمن بن أبي جميل قال: «كنا حول ابن المبارك بمكة، فقلنا له: يا عالم الشرق حدِّثنا- وسفيان قريب منا يسمع- فقال: ويحكم! عالم المشرق والمغرب وما بينهما». (المصدر السابق).

فها هم أفاضل السلف يشهد بعضهم لبعض دونما تحرُّج أو غضاضة؛ فماذا كانت النتيجة؟ لقد رفعهم الله جميعًا؛ وربما كان إعجابنا بالشاهد المادح أعظم من إعجابنا بالمشهود له الممدوح؛ لأن شهادته لقرنه تدل على ساحة طاهرة، ونفس زكية.

وهذا مما يرقى بالذوق، ويسمو بالهمم، ويرتقي بالمشاعر، ويقضي على روح التشاحن والبغضاء.

قيل لأعرابي: «من أكرم الناس عشرة؟ قال: مَن إذا ضرب منح، وإذا بَعُد مَدَح، وإن ضويق فسح، فمن ظفر به فقد أفلح ونجح». (الصداقة والصديق لأبي حيان ص١٣).

ومما ينبغي التنبيه عليه مراعاة الفرق بين المديح المنضبط المعتدل الصادق وبين الإطراء الكاذب الممقوت، والمبالغة الخارجة عن طورها، وكذلك ينبغي مراعاة التوازن في المديح؛ لأن من الناس من يزيده المديح إقبالاً ووجدًا، وفضلاً ونبلاً، ومنهم من يبعث فيه المديح غرورًا، وطيشًا، وتيهًا، وعتوًا، ونفورًا.

وهذا راجع لحكمة الإنسان، ومعرفته بطبائع النفوس، وربما كان الفصل بينهما رهينَ كلمة مدح مقدرة أو مبالغ فيها.

وبناءً على ما مضى كله فلماذا لا نأخذ بهذه الطريقة الحكيمة النبيلة؟ لماذا لا نأخذ بها إذا وقفنا أمام الناس لنعظهم، فنبدأ بالثناء عليهم ثناءً متزنًا؛ كي نهيئ نفوسهم لقبول ما نقول؛ إذ لا شيء يهز أعطافهم كالثناء عليهم خصوصًا إذا كان من غريب؟

وما الذي يضيرنا إذا رأينا إنسانًا بارًا بوالديه، واصلاً لأرحامه، متوددًا لجيرانه أن نذكره بعظم هذا العمل، وأن نشكره عليه، ونوصيه بالاستمرار على ذلك؟

وما الذي يمنعنا إذا رأينا من أحد طلابنا جدًّا ونشاطًا وأدبًا أن نشعره بالرضا والفرح، والدعاء؟

وما الذي يمنعنا إذا رأينا معلمًا مخلصًا في علمه، حريصًا على طلابه أن نشد على يده، وأن نشكره على إخلاصه وحرصه؟ بدلاً من تخذيله، وإشعاره بأنه إنسان ساذج يقوم بأكثر مما طلب منه.

وما الذي يضيرنا إذا رأينا خطيبًا مصقعًا يهز أعواد المنابر، ويحترم عقول المخاطبين، ويحرص على تحرير خطبه وإلقائها في أثواب ملائمة أن نشكر له صنيعه، ونشعره باستفادتنا منه، وتقديرنا له؟

وما الذي يضيرنا إذا رأينا أو سمعنا عن طبيب حاذق يتمتع بخلق فاضل، وصبر على مراجعيه، وحرص على سلامتهم وعافيتهم أن نُبدي له إعجابنا وشكرنا ودعائنا؟

وما الذي يلجم أفواهنا أو أقلامنا أن نشكر صحفيًا أو كاتبًا على حبه للفضيلة، ودفاعه عنها؟ ولماذا لا نزجي الشكر لمسؤول أصدر قراراً فيه نفع للمسلمين، أو فيه فتح لباب خير، أو إغلاق لباب شر؟

ولماذا لا نعتاد تقديم الشكر لمن أسدى إلينا معروفًا ولو قل؟

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافؤونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه». (أبو داود: ١٦٧٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «من صُنعَ إليه معروفٌ، فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا فقد أبلغ في الثناء». (الترمذي: ٢٠٣٥).

يقول سفيان الثوري رحمه الله: «إني لأريد شرب الماء فيسبقني الرجل إلى الشربة، فيسقينيها، فكأنما دقَّ ضلعًا من أضلاعي لا أقدر على مكافأة لفعله».

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

«وللنساء نصيب»



إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
بجامعة التضامن الفرنسية العربية

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستلهمه سبحانه الرشد والصواب، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: «وللنساء نصيب» (النساء: ٧).

للنساء نصيب من الميراث، للنساء نصيب من المنهج، للنساء نصيب من المسئولية، فلم يفرق الإسلام بين الرجال والنساء إلا في بعض التكاليف كصلاة الجماعة في المسجد، والجهاد في سبيل الله، وبعض التكاليف الدعوية كإمامة الناس للصلاة، وخطبة الجمعة.

الشاهد هنا: للنساء نصيب من المسئولية.

فالمرأة الذكية مسئولة عن زوجها، وحسن إدارتها لحياة زوجها، كما أنها تمتاز بالقبول عند زوجها؛ لذا سأختصر لك هذا الفصل، الذي قمت فيه بجمع أصناف الرجال، وبعض طرق التعامل معهم، لعلك تعرفين إلى أي نوع ينتمي زوجك.

وأكرر.. إن الزوجة الذكية هي التي تستطيع أن تتعامل مع زوجها بمهارة وفن، وكلنا يعلم أنه لا يوجد هناك زوج يتصف بالكمال؛ لذلك نجد في شخصياتهم بعض العيوب، ومن ثم فيجب علينا مراعاة ذلك عند التعامل معهم وهنا يأتي السؤال: كيف يكون ذلك؟

وباختصار.. فإن الإجابة تكون بالوقوف على معرفة صنف الزوج، أي زوج من الأزواج هو؟ ومن ثم تحديد طريقة التعامل التي تناسب نوعية الزوج وطبيعته....

تقول د. غادة الخولي: إننا سنقوم بتقسيم الرجال على حسب صفاتهم، وسنحدد كيفية التعامل مع كل صفة:

- الزوج ذو الطبع الحاد (العصبي):

إن هذا النوع من الرجال هم الذين يثورون وتحترق أعصابهم ويغضبون لأقل الأسباب؛ ولذلك يصعب علينا التعامل معهم بيسر وسهولة، ولكننا سنتحدى المستحيل في سبيل تحقيق السعادة الزوجية!

وحتى لا تخسرين زوجك العصبي لا تدخلي معه في مناقشات حادة، وإذا وجدتّه ثائرًا يجب عليك أن تتركيه حتى يهدأ، وبعدها تأتي ردة فعلك المملوءة بالعطف والهدوء، بعيدًا عن العصبية، والانفعال الزائد، وبعدها ستلاحظين أنك قد سيطرت على الموقف واستطعت امتصاص غضب زوجك وكسبت وده.

مثال: لماذا تقولين لزوجك: إن أمك قالت: أختك فعلت.. ثم تعاتبينه على العصبية؟! ماذا لو قلت له: اليوم حدث أمر وأنا تقبلته لله، ثم من أجل عيونك، وذلك لأنك صاحب فضل ونعمة علي وهكذا..... أو لا تخبريه وتصبري وتحتسبي ذلك عند الله.

- الزوج الذكي:

هذا النوع من الرجال الذين يحبون القراءة، والكتابة، والإبحار في العلم والعلوم، ومن أجمل صفات هذا النوع من الرجال أنه يأخذ الأمور بمنطق العقل.

وأنا أستغرب من بعض النساء اللاتي لا يحببن

هذا النوع من الرجال!! لا أعلم لماذا!!

الحل-أختاه- هو أن تظهري حبك لذكائه بأن تسأليه أي سؤال يجول في خاطرك.. أي حاولي أن تكوني تلميذة له، كي يجيب على أسئلتك ويستعرض قدرات عقله ومعلوماته أمامك، وعليك في كل مرة أن تشكريه وتمتدحي معلوماته وذكائه.

- الزوج البارد:

يتصف هذا النوع من الرجال بصفة تلخصها الكثير من الزوجات بعبارة هي: (عدم الإحساس بالعاطفة) آسف.. جامدون كقطع الثلج، صامتون كالأحجار.. يتميزون بالغموض الدائم.. ويفضلون الصمت دائمًا على الإفصاح عن مشاعرهم.

الحل هو أن تعامليه بهدوء وتحفظ، ولا تحاولي أن تفتحي معه أي موضوع، أو نقاش بل اتركي له الأولوية دائمًا في فتح المواضيع والنقاش فيها؛ لأنك لو حاولتي الدخول معه في مواضيع ومناقشات فقد تسمعين منه ردًا لا يعجبك، خاصة إذا لم ينل الموضوع رضاه.. وحاولي أن يكون ردك دومًا مختصرًا موجزًا.

وعبّري عن حبك له كي تنالي عطفه، وقابليه دومًا بوجه مليء بالحب والحنان.

- الزوج غير الحضاري:

هو الزوج الذي لا يحب التطور، ويتمسك بعادات، وتقاليد أجداده..

ويظهر هذا في طريقة لبسه للملابس العادية.. كما يبدو في تمسكه بالموديلات الكلاسيكية القديمة، ويبدو ذلك في مثل: هاتفه المحمول.. نوعه وطريقة رده على المتصل وهكذا.

إن هذا الصنف قنوع بنفسه، وكثيرًا ما نجد أن قطاعًا كبيرًا من النساء لا يحببن هذا الصنف من الرجال، والسبب أنهم لا يجدون الحرية معهم.

إن الحرية التي يقصدنها قد تكون في رغبتهم-مثلًا- في لبس الملابس المخصرة والمزركشة.. وغيرها من الملابس العصرية..!

الحل-أختاه- هو أن تكوني كالابنة الصغيرة التي تطيع أباها، وتأكدي أن هذا النوع من الرجال يخاف عليك من الفتن في زمن استشرت فيه الفتن، فأطيعيه ولا تعانديه.

وإذا فكرت قليلًا ستجدين أنه لا يريد إلا مصلحتك، وستكونين معه رابحة في الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

وبالنسبة لمظهره، فحاولي بأسلوب لبق لا يجرح مشاعره أن تشجعيه على لبس كل ما هو جديد جاد، كأن تشتري له بعض الملابس هدية، أو تمتدحي نوعية معينة من الملابس أو الألوان حتى يرتدي مثلها، دون أن تؤذي مشاعره أو تسببي له نوعًا من الحرج.

- الزوج الحضاري (عاشق المظاهر):

هذا الصنف من الرجال هو الذي يعشق المظاهر، ويظهر هذا في ملبسه ومسكنه.. فهذا الصنف يحب شراء الأشياء الفخمة، والثمينة للتفاخر بها أمام الناس.

وغالبًا ما تكون هذه الأشياء طريقة للوصول إلى قلبه، وعليك أن تهتمي بأن تهيئي له الجو الجميل، وزينيه بالورود والإكسسوارات المختلفة، وأهم من ذلك اهتمامك بمظهرك أنت، أن تبدي له كل يوم ثوبًا جميلاً، فهذا الصنف من الرجال يعشقون الجمال، ويجدون المتعة في النظر إلى الأشياء الجميلة؛ لذلك أحسني اختيار ملابسك وترتيب منزلك، ولكن تذكري.. أن هذا لا يعني الذهاب إلى البنوك والاقتراض منها، فلا ينبغي تبديد المال والثروة في هذه الكماليات.

لكن حاولي-دائمًا- نصح زوجك وتوجيهه إلى الاقتصاد وعدم الاقتراض، واقنعيه بالحياة على قدر الدخل؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: «إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ» (الإسراء: ٢٧).

هذا، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



القلوب المضيئة

إعداد د/ أحمد صلاح رضوان

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه والتابعين، أما بعدُ:

فمن المُسلَّمات التي لا شكَّ فيها أن طول الأمَد من المسبِّبات الأساسية لقسوة القلب، لما يحمل في ثناياه من تغيرات الواقع، واختلاف الظروف الحالية عن الظروف التي اكتنفت أيام الطاعة والهداية والاستقامة، فإذا قسا القلب فلا يَقبل موعظة، ولا يلين بوعد ولا وعيد.

والمتأمل في سيرة الصحب الكرام يجد أنه بعد سنوات من دخول القلة المؤمنة الأولى في الإسلام، وهم بمكة؛ تلك الفترة العصيبة، المليئة بالأحداث، الملتهبة بسياط الفتن والابتلاءات، والمفعمة بمعاني الإيمان، لم يلبث أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا ونبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم يتلو عليهم عتابًا كريمًا: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ» (الحديد:١٦)، وروى مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا» (الحديد:١٦) إلا أربع سنين- أربع سنين كانت مدة كافية لاحتمال ولوج الغفلة إلى قلوب هذه الثلة المباركة، والجيل الفريد العظيم!! فجاء التنبيه الرباني للتحذير من ذلك.

إذن الأمر يحتاج إلى متابعة وتفقُّد دائم لحال القلب بين الحين والآخر، وقد حثنا نبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله: «إن الإيمان ليَخْلَقُ في جَوْف أحدكم كما يَخْلَق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم». رواه الطبراني عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

فمع طول الأمد (لا سيما بعد مواسم الخيرات)، قست قلوب بعد لينها، وغفلت أروح بعد صحوتها، وذبلت أنفس بعد نشاطها، ألم يأن لهذه القلوب أن تخشع لذكر الله؟ ألم يأن لها أن تستعيد قوتها؟ ألم يأن لها أن تصحو من غفوتها؟ ألم يأن لها أن تعزم المسير إلى الله تعالى، وأن تصدق في الإنابة إليه؟

قلوب مضيئة

إن القلوب المضيئة النَّيِّرة هي القلوب التي لا يغيب عنها ذكر الله تعالى في السراء والضراء، وحين يَخْلُونَ بأنفسهم عن أعين الناس، وتدعوهم النفس المتمردة إلى التمرد على حدود الله تعالى، فإن هذه القلوب الحية لا تلبث أن تلجم أصحابها عن الوقوع في المعصية وما يغضب الله تعالى كما حدث مع نبي الله يوسف عليه السلام لأن القلوب الحيَّة المضيئة لا تنهزم من أول جوله، ولا تسقط في أول حفرة، إنها تناضل وتجاهد من أجل السلامة، «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا» (العنكبوت:٦٩).

أيها الشباب: ليست هذه القلوب اليقظة حكرًا على نبي الله يوسف عليه السلام، فلقد

أخبر صلى الله عليه وسلم أن من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله». رواه البخاري عن أبي هريرة.

يوسف عليه السلام قال: معاذ الله، وهذا الرجل قال: إني أخاف الله!! قلوب حية لا تغيب عنها العناية الإلهية، اصطفاها الله وطهَّرها، ورفع منازل أصحابها.

وفي حياة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الأمثلة الفذة للقلوب الحية المضيئة التي لا يهدأ لها بال، ولا يغمض لها جفن، إذا قارفت ذنبًا حتى يتوب الله عليها، فمثلاً في غزوة تبوك، تَخَلَّفَ عن المسير مع النبي صلى الله عليه وسلم عددٌ قليلٌ من غير شك ولا ارتياب، وكانوا نفر صدقٍ، لا يُتَّهَمُونَ في إسلامهم، ولكن زلت بهم القدم، ووقعوا في استجابة نوازع النفس، من هؤلاء كعب بن مالك رضي الله عنه؛ الذي نتعلم من حديثه وخبره كيف سبق هؤلاء إلى الله تعالى بقلوبهم، وكيف تستنقذهم قلوبهم الحية من عداد الزائغين إلى منازل الصادقين؟! قال كعب رضي الله عنه: كان من خبري أني لم أكن قط أقوى، ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة... (رواه البخاري).

إنها خطيئة واحدة، لكنّ قلوبهم تعاقبهم عليها الساعات والليالي والأيام والشهور لا تزال نبرة الندم والأسف تسمعها من فم كعب بن مالك وهو يروي قصته بعد مرور سنوات على توبة الله عز وجل عليه، فلله درهم.

وروى البخاري أيضًا من حديث جابر أن رجلاً من أسلم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاعترف بالزنا، أشعل ذنبه عليه نارًا، لم يهدأ له بال حتى يتطهَّر منه، فاعترف وأقرَّ، فأمر به فرُجم حتى مات.

تأمل ما أنعم الله به على ماعز الأسلمي رضي الله عنه حين قاده قلبه المتيقظ إلى التقدم والتوبة!! فقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم بخير وزكّاه واستغفر له، وجاء في رواية بريدة: «لقد تاب توبة لو قسِّمت على أمة لوسعتهم».

وفي حديث أبي هريرة عند النسائي: «لقد رأيته بين أنهار الجنة ينغمس». وفي حديث عند أبي داود: «ولا تقل له خبيث، لهو عند الله أطيب من ريح المسك». فواهًا لقلب متيقظ قادَ صاحبَه إلى أنهار الجنة.

أوبة الصالحين

الأوَّاب من المتقين هو الرجَّاع إلى الطاعة عن المعاصي، قال سعيد بن المسيب: هو الذي يذنب ثم يتوب، يذنب ثم يتوب.

ليسوا ملائكة معصومين، بل بشر يعتريهم النقص والزلل، لكنهم لا يزالون يتوبون إلى الله ويرجعون، كلما زلت بهم القدم استيقظت قلوبهم فقاموا على أقدامهم، وواصلوا المسير إلى الله تعالى، لا ينكصون على أعقابهم، بل يستفيقون وينهضون، ومن يسلم من مقارفة الذنوب؟! فكل بني آدم خطاء، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن الذنوب لصيقة بنا؛ فقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من مؤمن إلا وله ذنب يعتاده الفينة بعد الفينة، أو ذنبٌ هو مُقيم عليه لا يفارقه حتى يموت، إن المؤمن خُلق مُفتَّنًا توَّابًا نساءً إذا ذُكِّر ذكر".

الله أكبر، هذا هو حال المؤمنين، انخفاض يتلوه ارتفاع، فلقد وصف الله المتقين بأنهم ﴿إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران:١٣٥)، إنهم لا يصرون، ولكن يتوبون ويستغفرون.

الإرادة مفتاح الرجوع

لم يصف الله تعالى داود وسليمان وأيوب عليهما السلام كذلك بأنهم رجَّاعون إلى الله، وإنما وصفهم بأنهم أوَّابون، والأوب هو الرجوع من صاحب إرادة، فهو رجوعٌ مريد للرجوع، وليس أي رجوع.

وإرادة الرجوع توجُّه قلبي نحو إعادة خطة السير إلى الله تعالى بقصد مرضاته سبحانه وتعالى، فالقلب هو المنطلق، وفي هذا المعنى يقول ابن القيم رحمه الله في «الفوائد»: "فاعلم أن العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه".

نسأل الله أن يصلح فساد قلوبنا، والحمد لله رب العالمين.



القتل الأُسَري (الأسباب والعلاج)

إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه ووالاه، وبعدُ:

فإنَّ الأسرة هي اللبنة الأولى والأساسية في بناء المجتمعات، فإذا كانت الأسرة قوية في مبادئها ومنهجها وقِيَمِها، قَوِيَتْ المجتمعات، والعكس صحيحٌ ولازمٌ.

وقد رسم الإسلام الصورة النموذجية المثلى للأسرة الصالحة، وحدَّد لها الأسس السليمة والقواعد الأساسية لبنائها الصحيح، وحدَّد معالم خصائصها، وكذا حقوق أفرادها وواجباتهم، كما وضع التشريعات التي تُنَظِّم العلاقة بين الجميع داخل الأسرة والمجتمع بما يكفل دوام الاستقرار وحسن العشرة، وضمان السعادة.

ولا تخلو أسرة ولا مجتمع من مشكلات ومُنَغِّصات حتى في المجتمعات الفاضلة، لكنها تزيد وتقل بحسب نضج المجتمعات وثقافتها السليمة الصحيحة البنَّاءة، وبحكم بشريتنا التي فُطرت على الفرح والغضب، والفجور والتقوى، والحلم والعجلة، والصبر واليأس، فإن ذلك يُنتج سلوكيات متباينة؛ حينما تصطدم ببعضها البعض ينتج الخلل والفساد.

ولقد ظهرت في الآونة الأخيرة ظاهرة القتل داخل أفراد الأسرة، وصرنا نسمع كل يوم بلا انقطاع قتل الوالد لأولاده، والأم لوليدها، والأولاد يقتلون أمهم، والزوج يقتل زوجته، والزوجة تقتل زوجها، وصديق الأسرة يتورط في ذلك، والتي قتلت خطيبها، إلى آخره.

أولاً: إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة القتل:

ولقد أشار سيد الأبرار نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى هذه الظواهر، وبيَّن أنها من علامات الساعة الصغرى، بل واقترابها، روى أحمد (ح١٠٢٣١)، وإسناده صحيح- قال صلى الله عليه وسلم: «تظهر الفتن، ويكثر الهرج، ويُرفع العلم، ويظهر الجهل». فلما سمع عمر أبا هريرة يقول: «يُرفع العلم». قال عمر: أما إنه ليس يُنزع من صدور العلماء، ولكن يذهب العلماء.

أما رواية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويَخْلُف له هباء (أراذل) من الناس، يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء». (رواه أحمد ١٩٤٩٢، وصححه الألباني).

وللبخاري في (الأدب المفرد ح١١٨) عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا: «لا تقوم الساعة حتى يقتل الرجل جاره، وأخاه، وأباه». (الحديث صححه الألباني). وفي رواية ابن ماجه: «حتى

يقتل الرجل جاره، وابن عمه، وذا قرابته» (الحديث صححه الألباني).

واللافت للنظر في هذه الأحاديث وغيرها أن النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الداء وسببه وعلاجه، والداء هنا هو القتل المنتشر بين الناس والأسر، والسبب هو انتشار الجهل وذهاب العلماء الربانيين، والدواء والعلاج: هو تبليغ العلم الشرعي الصحيح ونشره بين الناس، وأن يكون الدين هو المادة الأساسية في قلوب وألسنة الناس وأعمالهم وعلومهم، وثقافاتهم وتعاملاتهم.

ثانيا: آيات وأحاديث في بيان شناعة قتل النفس ظلما:

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٩٣). وقال صلى الله عليه وسلم: «كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا أن يموت الرجل كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا». (مسند أحمد ح١٦٩٠٧ صحيح لغيره، وإسناده حسن).

وقال صلى الله عليه وسلم: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: مُلْحد في الحرم، ومُبتَغ في الإسلام سُنَّة الجاهلية، ومُطَّلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه». (البخاري ح٦٨٨٢ عن ابن عباس).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أعدى الناس على الله من قَتَل في الحرم، أو قتل غير قاتله، أو قتل بذحول الجاهلية». (مسند أحمد ٦٦٨١).

والذحول: هو الثأر والانتقام.

وغير ذلك من الأحاديث المتكاثرة.

ثالثا: أسباب انتشار القتل:

أول هذه الأسباب:

١- قلة الإيمان، وضعف الخوف من الله.

فلا شك أن الإيمان يعصم صاحبه عن الزلل ويهديه إلى أقوم طريق، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ (التغابن:١١)، وقال: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران:١٠١).

وكذلك فإن الخوف من الله سبب لرضا الله وتمكينه لأوليائه في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (إبراهيم:١٤).

٢- إهمال التربية على الدين والفضائل والأخلاق:

وهذا يؤدي إلى انتشار الرذيلة وسوء الأخلاق، وكلما ساءت الأخلاق انتشر الفساد.

٣- إهمال العلم الشرعي:

فالعلم هو الذي يورث الخشية من الله ومراقبته، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر:٢٨).

٤- الإحباط والمشكلات النفسية الناتجة عن الفقر والبطالة:

وهذه بلا شك يزيلها أيضًا العلم بالله والإيمان بالقدر والرضا بالقضاء، وكل هذا يتم ويتحقق من خلال الحرص على العلم الشرعي والتخلق بمكارم الأخلاق.

٥- جهل المربين بالتربية الصحيحة وتوسيد الأمر لغير أهله، والصراع العنيف على الدنيا:

ففاقد الشيء لا يعطيه، فإذا فقد المربي مكانته ورسالته فكيف يكون حال من يعولهم ويربيهم؟ كذلك فإن التكالب على الدنيا أو المناصب أو الوجاهة يجعل الحريصين على ذلك يحاولون إزاحة من يقف في طريقهم ولو كانوا من ذويهم وأقربائهم.

٦- العنف عمومًا؛ سواء في الكلام، أو في المعاملة.

فالشدة والغلظة تجلب الكراهية، والميل إلى الانتقام، وكم من شاب قتل زميله أو غريمه، أو قَتْل تم بين أزواج أو إخوة أو أقارب بسبب غضب من وراء كلمة أو تصرف رديء.

٧- الغيرة الزائدة عن الحد:

وقديمًا قالوا: كل شيء زاد عن حده انقلب إلى ضده، فالغيرة نعم مطلوبة، ولكن بحقها، ومن لا يغار فهو حمار، لكن الغيرة الزائدة تورث الشك وتجلب التهمة وتوقع في الظلم، وربما شك رجل في امرأته فقتلها، والحوادث في ذلك كثيرة.

٨- ومن أسباب وقوع القتل أيضًا مشاهدة أفلام الجرائم والحوادث، ومسلسلات العُنف والقتل، يُضاف إلى ذلك الإعلام الذي يتسابق في نشر الجريمة بتفصيلاتها، والسعيد فيهم والسابق بزعمهم من أتى بالخفي المستور، ولو كان في ذلك هتك للأعراض والستور، كل هذا ينشر الشر ويوسع دائرته، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (النور:١٩).

٩- الخيانات الزوجية:

سواء من الرجل أو المرأة، والتي تنتج من تتبع المشاهد الإباحية المحرمة، واستخدام التقنية الحديثة في محادثة الجنسين بعضهما البعض، وإنشاء العلاقات المحرمة.

١٠- تسلط الزوجات:

وهذا يزيد العداوة، ويشعر الرجل بالمهانة والاحتقار، وربما أحرجته زوجته أمام الناس، إلا من صبر واستسلم، وخضع ولم يتكلم، أما من لم يستسلم لامرأته المتسلطة فإنها تكون عبئًا عليه، فربما فكَّر في التخلُّص منها، أو تخلَّصت هي منه.

١١- تعاطي المخدرات:

وعلى رأسها أم الخبائث (الخمر)، وغير هذا كثير؛ كالمبالغة في العقاب والتأديب، وكإفشاء الأسرار الخطيرة التي تعرض صاحبها للخطر فيميل للانتقام، وكالإحساس بالنقص في النفس فيحاول الوصول إلى العظمة التي يفتخر بها على أقرانه، وتحقير المرأة والإضرار الزائد بها، كل هذا من أسباب الوصول إلى التخلص من الغير لإخلاء السبيل لنفسه، أو الطمع في الميراث، أو الخوف من الفضائح والعار، وقد كانوا قديمًا يئدون البنات ويدفنونها حية وهي صغيرة خشية المسبة والانحراف.

وختامًا لهذه الجزئية؛ نقول: إن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر كثرة القتل، ذكر معه انتشار الجهل، وغياب العلم الشرعي، فننصح الآباء والمربين جميعًا ألا يهملوا العلم الديني، ففيه السعادة والأمان، وفيه الرزق ورضا الرحمن، وفيه الجنة والنجاة من النيران، فالعلم يبني بيوتًا لا عماد لها.. والجهل يهدم بيت العز والشرف.

رابعا: علاج ظاهرة القتل الأسري:

١- ينبغي النفرة على كافة المستويات والهيئات والمؤسسات، والبيت والمدرسة، والمعهد والمسجد من أناس ذوي أهلية هدفهم النهوض بالجيل والأمة.

٢- التربية السليمة المستمدة من منهج تربوي شرعي مدروس، وعدم التفرقة بين الأبناء وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- إعطاء الدين المكانة اللائقة به في نفوس الناس وسلوكهم، ليستقيموا على هذا الدين، والنجاة والسعادة والرزق والخير الوفير في الاستقامة على هذا الدين، قال الله تعالى: «وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا» (الجن:١٦).

٤- تنحية غير المختصين عن التصدي لمشكلات الأمة، والالتزام بسؤال أهل الذكر والاختصاص، والله تعالى يقول: «فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (النحل:٤٣)، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن من أسباب انتشار القتل توسيد الأمر لغير أهله، فقال صلى الله عليه وسلم: «يَخْلف هباء من الناس (أراذل) يحسب أكثرهم أنهم على شيء، وليسوا على شيء». (سبق تخريجه).

٥- إشراك علماء النفس في علاج القضية من منظور شرعي:

ويُجْمِع هؤلاء العلماء على أن التنشئة السليمة والتربية الصحيحة هي العامل الأساس في منع كل هذه الجرائم أو الحد منها على الأقل فلا تكون ظاهرة، كما يؤكدون على أن مراقبة البث الذي يبثه الإعلام والإذاعات، وتصفية وتنقية من كل ما من شأنه تعليم الجريمة، وترويجها والتعريف بها لمن لا يعرف، فإن ذلك كله سبب لتطهير المجتمعات من هذه الظاهرة الخطيرة.

ويلفت علماء النفس والاجتماع النظر إلى أن تكون حرية الكلمة وحرية الصحافة منضبطة بحفظ التوازن العلمي والأخلاقي، وبقاعدة: «لا ضرر ولا ضرار»، كما يؤكدون على أن نزول المرأة للعمل بجانب الرجال أعطاها لونًا من الخشونة والاسترجال شكلاً وموضوعًا، وفقدت الكثيرات أنوثتها وتوحشت على أهل بيتها وعلى رأسهم زوجها.

وإن تدني التنشئة الاجتماعية والأخلاقية، وقلة التوعية الدينية يجعل كثيرًا من الناس يقبلون الغث مع السمين، والضار مع النافع، فلا يفرق النشأ الصغير بين هذا وذاك، فينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوَّده أبوه.

حفظ الله بلادنا وبلاد المسلمين من الرذيلة والانحراف، وأمَّنَنا مما نخشى ونخاف، إنه عظيم الألطاف، والحمد لله رب العالمين.

قصة تمرُّغ النبي صلى الله عليه وسلم في تُراب لحدِ فاطمة بنت أسد

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص، ومما ساعد على انتشارها وجودها في كتب السنة الأصلية، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد: علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِذْ أَتَى آتٍ، فقال: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّ أُمَّ عَلِيٍّ وَجَعْفَرٍ وَعُقَيْلٍ قَدْ مَاتَتْ، فقال رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: " قُومُوا بِنَا إِلَى أُمِّي". فَقُمْنَا وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِ مَنْ مَعَهُ الطَّيْرَ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الْبَابِ نَزَعَ قَمِيصَهُ، فقال: " إِذَا غَسَّلْتُمُوهَا فَأَشْعِرُوهَا إِيَّاهُ تَحْتَ أَكْفَانِهَا ". فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ، جَعَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ مَرَّةً يَحْمِلُ، وَمَرَّةً يَتَقَدَّمُ، وَمَرَّةً يَتَأَخَّرُ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، فَتَمَعَّكَ في اللَّحْد- أي: تمرغ في ترابه- ثُمَّ خَرَجَ، فقال: " أَدْخِلُوهَا بِاسْمِ اللَّه، وَعَلَى اسْمِ اللَّه ". فَلَمَّا أَنْ دَفَنُوهَا قَامَ قَائِمًا، فقال: " جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أُمٍّ وَرَبِيبَةٍ خَيْرًا، فَنِعْمَ الأُمُّ، وَنِعْمَ الرَّبِيبَةُ كُنْتِ لِي ". قال: فَقُلْنَا لَهُ، أَوْ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّه، لَقَدْ صَنَعْتَ شَيْئَيْنِ مَا رَأَيْنَاكَ صَنَعْتَ مِثْلَهُمَا قَطُّ، قال: " مَا هُوَ؟ " قُلْنَا: بِنَزْعِكَ قَمِيصَكَ، وَتَمَعُّكِكَ في اللَّحْد، قال: "أَمَّا قَمِيصِي فَأَرَدْتُ أَلا تَمَسَّهَا النَّارُ أَبَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَأَمَّا تَمَعُّكِي في اللَّحْدِ فَأَرَدْتُ أَنْ يُوَسِّعَ اللَّهُ عَلَيْهَا قَبْرَهَا». اهـ.

ثانيًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه عمر بن شبة، واسمه زيد بن عبيدة بن ريطة النميري البصري أبو زيد المتوفى سنة (٢٦٢هـ) في كتابه «تاريخ المدينة المنورة» (١/١٢٤) قال: حدثنا عبيد بن إسحاق العطار، قال: حدثنا القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: حدثني أبي عبد الله بن محمد قال: ولم يدعه قط إلا أباه، وهو جده- قال: حدثنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتى آتٍ فقال: يا رسول الله، إن أمّ علي وجعفر وعقيل قد ماتت....» القصة.

ثالثًا: التحقيق:

١- هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة الواهية، والذي أخرجه ابن شبة في «التاريخ» وفي هذا السند علتان:

العلة الأولى: القاسم بن محمد.

أ- قال الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن

بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة (٣٢٧هـ) في كتابه «الجرح والتعديل» (١١٩/٢/٣) ترجمة (٦٧٨): «القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب روى عن أبيه يعني بالأب (جده) عبد الله بن محمد بن عقيل، روى عنه خالد بن مخلد، وعبيد العطار، وسويد بن سعيد سمعت أبي يقول ذلك».

ب - ثم قال الإمام ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن حمويه بن الحسن، قال: سمعت أبا طالب قال: قال أحمد بن حنبل: «القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل ليس بشيء».

جـ- ثم قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم: «سألت أبي عن القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل فقال: كان متروك الحديث». اهـ.

د- ثم قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم: «سئل أبو زرعة عن القاسم بن محمد فقال: أحاديثه منكرة وهو ضعيف الحديث». اهـ.

هـ - وهذه الأقوال التي خرجناها من أصولها لأئمة الجرح والتعديل في القاسم بن محمد نقلها الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٨٣٧/٣٧٩/٣) عن هؤلاء الأئمة وأقرها.

و- ونقل الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٥٤٥/٤) (٦٦٥٢/٣٥) ما نقله الإمام الذهبي في «الميزان» عن أئمة الجرح والتعديل وأقره وزاد عليه، وقال البخاري في «التاريخ الأوسط» عنده مناكير، وقال ابن عدي: روى عن جده أحاديث غير محفوظة».

ز - قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٥/٦) (١٥٧٨/٢): حدثنا ابن حماد، حدثنا عبد الله بن أحمد، عن أبيه قال: القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل: ليس بشيء. اهـ.

العلة الثانية: عبيد بن إسحاق العطار:

قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (٣٤٧/٥) (١٥٠٥/٥٣٧): «سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري: عبيد العطار هو منكر الحديث». اهـ.

هذا المصطلح عند الإمام البخاري له معناه حيث بمعرفته يقف الباحث على درجة ضعف عبيد العطار.

ففي «الميزان» (٥/١) للذهبي: «نقل ابن القطان أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: «منكر الحديث» فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

ثم أخرج له أحاديث من مناكيره، ثم قال: «عامة ما يرويه إما أن يكون منكر الإسناد، أو منكر المتن». اهـ.

قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٨/٣): «عبيد بن إسحاق العطار، ضعَّفه يحيى، وقال البخاري: عنده مناكير، قال الأزدي: متروك الحديث، وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر». اهـ.

رابعًا: الاستنتاج

١- يتبين مما أوردناه آنفًا أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة فيه علتان:

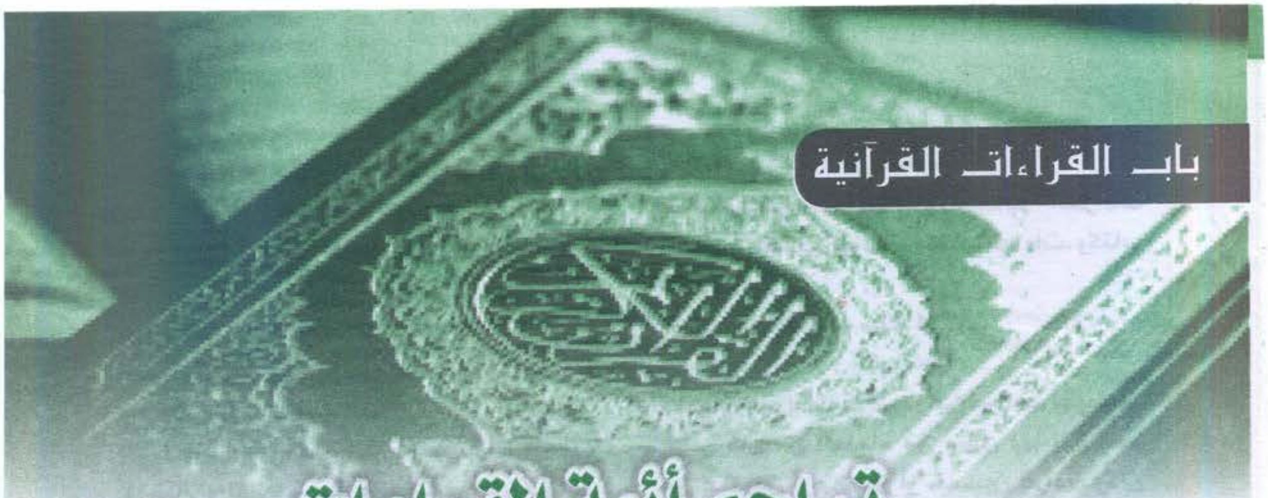
الأولى: القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل، وتبين من أقوال أئمة الجرح والتعديل: أنه ليس بشيء، متروك الحديث، أحاديثه منكرة، وغير محفوظة.

والعلة الثانية: عبيد بن إسحاق العطار، وتبين أيضًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل: أنه متروك الحديث، عامة حديثه منكر، منكر الحديث لا تحل الرواية عنه.

قلت: من هذه العلل المركَّبة يتبين الضعف الشديد على القصة، وتصبح القصة واهية.

٢- لذلك عندما سأل الإمام الحافظ ابن أبي حاتم أباه الإمام الكبير أبا حاتم في كتابه «علل الحديث» (٣٦٥/١) (ح١٠٨٠) وقال: «سألت أبي عن حديث رواه عبيد بن إسحاق العطار، قال: حدثنا القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال: حدثني أبي عبد الله بن محمد قال: حدثني جابر بن عبد الله قال: بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم جلوس، إذ أتاه آت، فقال: إن فاطمة بنت أسد أم عليٍّ وعقيل وجعفر قد ماتت... القصة. قال أبي: «هذا حديث منكر جدًا». اهـ.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



تراجم أئمة القراءات
الإمام ابن مجاهد

إعداد/ د. أسامة صابر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ما يزال الحديث متصلاً عن تراجم أئمة القراءات القرآنية، وحديثنا في هذا العدد عن عَلَم من أعلام القراءات، وهو ابن مجاهد، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

ابن مجاهد: هو أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أبو بكر البغدادي العطشي (نسبة إلى سوق العطش ببغداد)، المقرئ المحدِّث النحوي، شيخ عصره، ومصنِّف كتاب «السبعة» في القراءات.

ولادته: وُلِدَ سنة ٢٤٥هـ، ببغداد.

قرأ القرآن على أبي الزعراء بن عبدوس، وتلا عليه عشرين ختمة، وتلقن القرآن من عبد الله بن كثير، وحج وتلا على قنبل بمكة، وأخذ الحروف سماعًا من طائفة كثيرة منهم محمد بن عبد الرحيم الأصبهاني، ومحمد بن إسحق أبي ربيعة، ومحمد بن يحيى الكسائي الصغير، وتصدر للإقراء وذاع صيته، ورُحِلَ إليه من الأمصار.

قرأ عليه الكثير منهم: أبو طاهر عبد الواحد بن أبي هاشم، وصالح بن إدريس، وأبو بكر الشذائي، وأبو الفرج الشنبوذي، وأبو الحسين عبيد الله بن البواب، وأبو العباس المطوعي، وغيرهم.

سمع الحديث من سعدان بن نصر، وأحمد بن منصور الرمادي، ومحمد بن إسحاق الصاغاني، وغيرهم.

وكان ثقة حُجَّة.

وحدَّث عنه: عمر بن شاهين، وأبو بكر بن شاذان، وأبو الحسن الدارقطني، وغيرهم.

من أخلاقه:

قال الإمام الذهبي عنه: كان مع علمه ودينه ومعرفته بعلوم القرآن حَسَن الأدب، رقيق الخلق، كثير المداعبة، جوادًا، ثاقب الفطنة.

ومن طرائفه أنه جاءه أبو محمد الحسن بن الكاتب، وكان غلامًا حَسَن الوجه، فقرأ عليه أيامًا فجعله في صدر المجلس، فقال أبو الحسن بن البواب: يا سيدي أخدمك منذ عشرين سنة، وأنا عند النعال، وهذا قد تصدَّر؟ فقال: يا بغيض، هات وجهًا مثل وجهه حتى أقعدك في حجري.

وسأله رجل: لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفًا يُحمَل عنه؟ (أي: لمَ لا يتخير قراءة تُنسب إليه وتروى عنه؟) فقال: نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا،

أحوج منا إلى اختيار حرف يُقرأ به من بعدنا.

من مواقفه في نصرة الحق ورد البدع:

تصدَّى ابن مجاهد للحلاج الذي ادَّعى الحلول وما زال به حتى حبس وحُوكِم.

بيَّن خطأ ابن شنبوذ الذي كان يعتمد شواذ القراءات ويقرئ بها ويصلي بها، ولما جادله وحاول رده للصواب فلم يستجب رفع أمره إلى الوزير ابن مقلة الذي استدعاه، وأحضر القضاة والفقهاء وفي مقدمتهم ابن مجاهد لمناظرته، فأشاروا بعقوبته فارتدع، وتاب عن القراءة بكل ما خالف المصحف العثماني.

دفع بدعة ابن مقسم العطار الذي زعم أن كل ما صح له وجه في العربية لحرف من حروف القرآن المدوَّنة في المصحف العثماني تجوز القراءة به، فكان يقرأ بحروف تخالف إجماع القراء والرواة فرفع ابن مجاهد أمره للحكام حتى تاب من بدعته.

ثناء العلماء عليه:

قال محمد بن إسحاق النديم في الفهرست: ابن مجاهد آخر من انتهت إليه الرئاسة بمدينة السلام، غير مدافع.

وقال أبو عمرو الداني: فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظرائه من أهل صناعته، مع اتساع علمه، وبراعة فهمه، وصدق لهجته، وظهور نُسُكه.

قال ابن الجزري: «وبَعُد صيتُه، واشتهر أمره، وفاق نظراءه مع الدين والحفظ والخير، ولا أعلم أحدًا من شيوخ القراءات أكثر تلاميذ منه ولا بلغنا ازدحام الطلبة على أحد كازدحامهم عليه».

وذكر ابن الأخرم أنه دخل بغداد فرأى في حلقة ابن مجاهد نحوًا من ثلاثمائة مقرئ.

وقال علي بن عمر المقرئ: كان ابن مجاهد في حلقته أربعة وثمانون خليفة يأخذون على الناس.

وقال أحمد بن يحيى النحوي سنة ٢٨٦هـ: «ما بقي في عصرنا هذا أحدٌ أعلم بكتاب الله من أبي بكر بن مجاهد».

من مصنفاته:

كتاب القراءات الكبير، وكتاب القراءات الصغير، وكتاب الياءات، وكتاب الهاءات، وكتاب السبعة.

توفي - رحمه الله- سنة ٣٢٤هـ.

كتاب السبعة

تعددت القراءات في عصر ابن مجاهد وتوسعت حتى كان من العلماء مَن يصل بها إلى نحو من عشرين أو ثلاثين أو خمسين قراءة، وكان من الرواة من هو ثقة حُجَّة مدقِّق، ومنهم من ضعف ضبطه أو قل حظه من العربية، أو أدخل القراءات الشاذة، وضمَّها إلى المتواترة فظهر الاضطراب والاختلاف في القراءة مما دفع ابن مجاهد إلى أن يتحرَّى الصحيح المتواتر، وينفي ما عاداه فقام بعملٍ جليل لأمة الإسلام؛ حيث اختار قراءات سبعة مشهورة قرأ بها الأئمة في الأمصار التي حملت عنها القراءات في العالم الإسلامي، فاختار من المدينة نافعًا ومن مكة ابن كثير، ومن الكوفة عاصمًا وحمزة والكسائي، ومن البصرة أبا عمرو، ومن الشام ابن عامر، قال-رحمه الله- في مقدمة كتابه (السبعة): «وحملة القرآن متفاضلون في حمله، ولنقلة الحروف منازل في نقل حروفه، وأنا ذاكر منازلهم، ودالّ على الأئمة منهم، ومخبر عن القراءة التي عليها الناس بالحجاز والعراق والشام، وشارح مذاهب أهل القراءة، ومبيّن اختلافهم واتفاقهم إن شاء الله....»، وعمله هذا أجَلّه علماء عصره، فكان عاصمًا من الاضطراب والاختلاف في كتاب الله.

ثم إن ابن مجاهد-رحمه الله- صنَّف كذلك في القراءات الشاذة مصنَّفًا كان الأصل الذي اعتمد عليه ابن جني في كتابه (المحتسب)؛ فميَّز ابن مجاهد بذلك بين المتواتر والشاذ، وتبعه جمهور العلماء والقراء في اختياره، وضمُّوا للسبعة أبا جعفر ويعقوب وخلفًا، فانتظم عقد القراءات العشر المتواترة.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.



الحلقة (٥٠)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

القرون الفاضلة الخيرة وما تلاها على: إبطال تأويلات الجهمية والمعتزلة ومن لف لفهم من الأشاعرة لصفات (النزول والمجيء والإتيان) بحق الله تعالى

إعداد د. محمد عبد العليم الدسوقي

الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فعلى إثر ما ذكرنا من أدلة العقل ونصوص الوحي على إثبات (النزول والمجيء والإتيان) لله على الوجه الذي يليق بجلاله، نذكر من أخبار الصحابة: أثر ابن عباس الذي فيه قوله -وهو في العلو للذهبي-: "أما قوله تعالى: (أم السماء بناها.. الآيات)، فإنه خلق الأرض في يومين قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم نزل إلى الأرض فدحاها.."، أخرجه البخاري تعليقا ومسندا.

أ- أئمة المذاهب وشيوخهم وتلامذتهم على إثبات: (النزول والمجيء والإتيان):

كما نذكر من نصوص أئمة أهل السنة: قول أبي حنيفة ت١٥٠ في إثبات النزول لله -وقد نقله عنه الصابوني في (عقيدة السلف) والبيهقي في الأسماء-: "ينزل بلا كيف"، وقوله هنا موافق لأئمة السلف من قولهم عن الصفات: (أمِرّوها بلا كيف)، فإنه نفى الكيفية، ولم ينف حقيقة الصفة.. وقول حماد بن سلمة ت١٦٧ فيما نقله عنه الذهبي في السير والعلو -وقد حدثهم بحديث نزول الرب-: "من رأيتموه ينكر هذا؛ فاتهموه".

ونذكر من أقوالهم: قول شريك القاضي (ت١٧٨)، وذلك فيما حكاه عنه عبّاد بن العوام قال: "قدم علينا شريك بن عبد الله منذ نحو من خمسين سنة، فقلنا له: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: (إن الله ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا) و(إن أهل الجنة يرون ربهم)، فحدثني شريك بنحو من عشرة أحاديث في هذا، ثم قال: (أما نحن فأخذنا ديننا عن أبناء التابعين عن الصحابة، فهم عمن أخذوا؟!)".. وقول الحافظ حمّاد بن زيد (ت١٧٩)، وقد سئل عن حديث: (ينزل الله إلى السماء الدنيا؟)، فقال: "حق، كل ذلك كيف شاء الله"، وقوله (حق): ظاهر في

إثبات حقيقته، لأنه سؤال عن إمرار ما دل عليه ظاهره وإثباته صفة لله، لا عن ثبوته في نفس الأمر، كما أن قوله (كيف شاء الله)؛ دال على أن نزول الرب على حقيقته لغةً إلا أننا لا نعلم كيفيته.

وكذا قول الإمام مالك (ت١٧٩): "امض الحديث كما ورد بلا كيف ولا تحديد إلا بما جاءت به الآثار وبما جاء به الكتاب، قال تعالى: (فلا تضربوا لله الأمثال) (النحل/٧٤)، ينزل كيف يشاء بقدرته وعلمه وعظمته، أحاط بكل شيء علماً"، كذا نقله عنه الموصلي في مختصر الصواعق ص٤٧٩.. وقول ابن المبارك (ت١٨٢) وقد سُئل كيف ينزل؟، فقال: "ينزل كيف يشاء".

قال الخطابي معلقاً: "وإنما ينكر هذا وما أشبهه من الحديث، من يقيس الأمور في ذلك بما يشاهده من النزول الذي هو من أعلى إلى أسفل وانتقال من فوق إلى تحت، وهذا صفة الأجسام والأشباح، فأما نزول من لا يستولي عليه صفات الأجسام فإن هذه المعاني غير متوهمة فيه".

وممن صرح بنزوله تعالى من أئمة السلف أيضاً: الفضيل بن عياض (ت١٨٧)، قال فيما رواه عنه البخاري في (خلق أفعال العباد) ص١٧: "ليس لنا أن نتوهم في الله كيف وكيف؟، لأن الله وصف نفسه فأبلغ فقال: (قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد.. الإخلاص)، فلا صفة أبلغ مما وصف الله به نفسه، وكذا النزول والضحك وهذه المباهاة وهذا الإطلاع، كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع، فإذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل: (بل أومن برب يفعل ما يشاء)".

كما صرح بصفة النزول لله: محمد بن الحسن فقيه العراق (ت١٨٩)، قال في الأحاديث: (إن الله يهبط إلى السماء الدنيا) ونحو هذا: "إن هذه الأحاديث روتها الثقات فنحن نرويها ونؤمن بها ولا نفسرها"، وفي رواية اللالكائي: "من غير تفسير -يعني: من غير تفسير الجهمية المعطلة الذين ابتدعوا تفسيرات للصفات تخرجها عن ظاهرها وتقضي بتعطيلها وتخالف ما عليه الصحابة والتابعون من الإثبات، قاله ابن تيمية في الحموية ص٣٠ ونقله عنه الألباني في مختصر العلو ص ١٥٩- ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وفارق الجماعة، فإنهم لم ينفوا ولم يفسروا، ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا، فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة، لأنه وصفه بصفة لا شيء"، كذا في العلو للذهبي ص١٠٨، ١١٣.

فأثبت لله -ضمن ما أثبت- اليد والعين والكلام اللفظي وفعل الاستواء والنزول.. إلى آخر ذلك مما نفاه جهم وتبعهم في نفيه وإلى يوم الناس هذا: متأولة الأشاعرة، فإنهم ما أوّلوا إلا بعد أن شبَّهوا، وقد أداهم ذلك لأن يعطلوا ثم يتلاعبوا بالنصوص فيتأولوها..

وقد ذكر الطحاوي في اعتقاد أبي حنيفة وصاحبيه ما يوافق هذا، وأوضح أنهم كانوا أبرأ الناس من التعطيل والتجهم.

وممن صرح بنزوله تعالى: الإمام الشافعي ت٢٠٤، فقد روى عنه شيخ الإسلام الهكاري والحافظ المقدسي قوله -كما في العلو ص١٢٠-: "القول في السُّنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم، مثل سفيان بن عيينة ومالك وغيرهما: الإقرار بأن الله على عرشه في سمائه يقرُب من خلقه كيف يشاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف يشاء"، وذكر سائر الاعتقاد.

كما صرح بصفة نزوله تعالى: إسحاق بن راهويه ت٢٣٨، فقد روى الحاكم بإسناده عن أحمد الرباطي قال: "حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق فسُئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ قال:

(نعم)، فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟، قال: (نعم)؛ قال: كيف ينزل؟، فقال له إسحاق: (أثبتّه فوقٍ حتى أصف لك النزول؟)، فقال الرجل: أثبتّه فوق، فقال إسحاق: (قال الله: « وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » (الفجر/٢٢))، فقال الأمير عبد الله: يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة، فقال إسحاق: (أعزّ الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟)"، وفي رواية: "لا يقال: كيف؟، إنما ينزل بلا كيف".

وفي رواية: "(أيها الأمير: إن الله بعث إلينا نبياً، نُقل إلينا عنه أخبارٌ بها نحلل الدماء وبها نحرِّم، وبها نحلل الفروج وبها نحرِّم، وبها نبيح الأموال وبها نحرِّم، فإذا صح ذا صح ذاك، وإن بطل ذا بطل ذاك)، فأمسك عبد الله"، كذا في عقيدة الصابوني والعلو للذهبي، وإنما قال لمن أنكر النزول: "أثبتّه فوق؟"، لأن من لا يؤمن بعلو الله تعالى لا يقر بنزوله.

قال الذهبي في السير ٣٦٧/١١: "قال أبو العباس السراج: سمعت إسحاق يقول: دخلت على ابن طاهر وعنده منصور بن طلحة، فقال لي منصور يا أبا يعقوب؛ تقول: إن الله ينزل كل ليلة؟، قلت: نؤمن به، إذا أنت لا تؤمن أن لك في السماء رباً لا تحتاج أن تسألني عن هذا".. وقال: "وورد أن بعض المتكلمين قال لإسحاق: (كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء)، فقال: (آمنت برب يفعل ما يشاء)"، وقد علق الذهبي على هذه الأخبار بقوله: "هذه الصفات من (الاستواء والإتيان والنزول)، قد صحت بها النصوص ونقلها الخلف عن السلف، ولم يتعرضوا لها بردٍّ ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع اتفاقهم على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن الله ليس كمثله شيء، ولا تنبغي المناظرة ولا التنازع فيها، فإن في ذلك محاولةً للرد على الله ورسوله، أو حَوْماً على التكييف أو التعطيل".

وتابع الذهبي ومن قبله اللالكائي في (شرح أصول السنة) ٣٧١/١ ينقل عن أحمد بن علي الأبّـار قوله: "إن عبد الله بن طاهر قال لإسحاق بن راهويه: ما هذه الأحاديث التي يُحدَّث بها أن الله ينزل إلى سماء الدنيا والله يصعد وينزل؟!، قال: فقال له إسحاق: (تقول إن الله يقدر على أن ينزل ويصعد ولا يتحرك؟)، قال: نعم، قال: (فلم تُنكر؟!)".. فجَعْلُ إسحاق (الصعود) مقابلاً (للنزول) ظاهرٌ في أن نزول الله حقيقة لا مجاز..

قال إسحاق مؤصلاً لما سبق وقد رواه عنه أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله ٣٢٥/٤:

"لا يجوز الخوض في أمر الله كما يجوز الخوض في فعل المخلوقين، لقول الله تعالى: « لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ » (الأنبياء/٢٣)، ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الله بصفاته وفعاله بفهم كما يجوز التفكر والنظر في أمر المخلوقين، وذلك أنه يمكن أن يكون الله موصوفاً بالنزول كل ليلة إذا مضى ثلثها إلى السماء الدنيا كما يشاء، ولا يُسأل كيف نزوله، لأن الخالق يفعل ما شاء كما يشاء" ا. هـ.

ب- وإمام أهل السنة وتلامذته.. على إثباتها على الوجه اللائق به سبحانه:

وعن أحمد بن حنبل إمام أهل السنة (ت٢٤١)، في الحديث عن صفة نزوله تعالى، حَدِّث ولا حرج، فلقد تضافرت الأقوال عنه في ذلك، ونذكر منها ما رواه عنه إسحاق بن منصور، قال: قلت لأحمد: (ينزل ربنا كل ليلة حتى يبقى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا) أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: "صحيح، قال ابن راهويه: ولا يدعُه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي" ا.هـ من رواية ابن بطة في الإبانة ٢٠٥/٣.

وفي رواية لحنبل يقول أحمد عن أحاديث النزول وأن الله يُرى وأنه يضع قدمه، وما أشبه هذه الأحاديث: "نؤمن بها ونصدق بها ولا نردُّ منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به رسول

الله حق إذا كانت أسانيدَ صحاحاً، ولا نردُّ على الله قوله، ولا يوصف سبحانه بأكثر مما وصف به نفسه بلا حدٍّ ولا غاية، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه، ولا نتعدى القرآن والحديث.. ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنعت"، ونقل حنبل في موضع آخر عنه قوله: "ما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلْوة بعبده يوم القيامة ووضعه كنفه عليه، هذا كله يدل على أن الله يُرى في الآخرة، والتحديد في هذا كلِّه بدعة، والتسليم فيه بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه".

وفي (إبطال التأويلات) لأبي يعلى ص١٤٩: "قيل لأبي عبد الله: (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء من غير وصف؟)، قال: (نعم)"، وهو صريح في إثبات النزول الحقيقي لله لا المجازي المفضي إلى القول بنزول مَلَك أو نزول أمره، وفيه أيضاً دليل على أنه وسائر السلف علموا المعنى بمقتضى اللغة وجهلوا الكيفية ومنعوا من الخوض فيها..

قال القاضي أبو يعلى: "والوجه في ذلك: أنه ليس في الأخذ بظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نحمله على نزول انتقال، ولا على أن يخلو منه مكانٌ ويشغل مكاناً، لأن هذا من صفات الأجسام، بل نُطلق القول فيه كما أطلقناه في قوله: (إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا) (يوسف/٢)، وليس يمتنع إطلاق ذلك وإن لم يكن معقولاً في الشاهد، كما وصفناه بالحياة وأنه حي بحياة، ولم نصفه بالحركة والانتقال والتحوّل وإن كنا نعلم في الشاهد أن الحي لا ينفك عن الحركة ولا الانتقال والتحول، وكذلك قد وصف أمره بالمجيء فقال: (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا) (هود/٤٠) ولم يوجب ذلك انتقالاً. وكذلك: (جاء الليل وجاء النهار وجاءت الحمى) وإن لم يوجب ذلك انتقالاً..

وقد صرح أحمد بالقول بأن العرش لا يخلو منه، وهكذا القول عندنا في قوله: (وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ) (الفجر/٢٢)، والمراد به مجيء ذاته لا على وجه الانتقال، وكذلك قوله: (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ) (البقرة/٢١٠) المراد به: مجيء ذاته لا على وجه الانتقال" ا.هـ.

ويدل على إمرار أحمد الكيف: قوله -لمن سأله: هل نزوله بعلمه أم بماذا؟-: "اسكت عن هذا، مالكَ ولهذا، أمضِ الحديث على ما روي بلا كيف ولا حدٍّ، إنما بما جاءت به الآثار وبما جاء به الكتاب، قال عز وجل: (فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ) (النحل/٧٤)، ينزل كيف يشاء، بعلمه وقدرته وعظمته، أحاط بكل شيء علماً، لا يبلغ قدره واصف ولا ينأى عنه هرب هارب" ا.هـ من شرح أصول الاعتقاد للالكائي ٣٧٢/١ وغيره.

وفي رده على كل غالٍ ناف يسخر من المثبتين أنه قد غرّهم قَول شيوخهم، ومن أن أولئك الشيوخ إنما غرّهم قول ابن عباس وابن مسعود وعبد الله بن عمرو، جاء عن الحافظ كبير القدر عبد الوهاب الوراق (ت٢٥٠) وهو من سُئل عنه أحمد (من نسأل بعدك؟)؛ فسماه. ثم قال الذهبي في العلو ص١٤٣ معقباً: "نعم يا جاهل، فاطّرد مقالتك الشنعاء، وقُل الصحابة غرّهم قول الصادق المصدوق: (ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا)، فالنبي عليه السلام أصّل ذلك وألقاه إلى أمته، وبناه على ما أوحي إليه من قول أصدق الصادقين: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) (طه/٥)، (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ) (النحل/٥٠)، إلى غير ذلك من الآيات، وإلى ما علمه جبريل وما جاء به عن رب العالمين من السنة، وما جاء به المرسلون إلى أممهم من إثبات نعوت الرب، فالحمد لله على الإسلام والسنة" ا.هـ..

وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. والحمد لله رب العالمين.



العقول الفقهية ووظائفها

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعد؛

أيها القارئ الكريم... تكلمنا في المقال السابق حول مقدمة لما اخترنا أن يكون موضوعنا في بضع مقالات، واخترنا عنوانا لهذه المقالات: «العقول الفقهية ووظائفها».

وسنتكلم في هذه المقالة عن الفرع الأول من هذه العقول، وهو: العقل الناقد.

والناقد في اللغة العربية: من نقد الشيء، أي بين حسنه ورديئه، وأظهر عيوبه ومحاسنه.

والمقصود بوضعه ضمن العقول الفقهية ليعلم القراء أن العقل الناقد: لا يقبل الآراء أو يرفضها، وعند القبول أو الرفض لا بد أن يستطيع بيان الأسباب التي من أجلها قبل الرأي أو رفضه.

إعداد د. أحمد سبالك

وهنا سؤال يفرض علينا نفسه: هل العقل الناقد يتوفر عند الكل؟

وأقصد بالكل: أي كل من يتحدث في الفقه والشرع.

لأنه- للأسف- الفترة التي نعيش فيها الآن الكل يقع تحت قول الشاعر:

الكل يدعي وصلاً لليلى
وليلى لا تقر لهم بذاك

ولهذا وضع أهل العلم معايير لهذا النقد، بحيث يصل إلى ما يريد، فمن وجد نفسه يمتلك هذه المعايير، يحق له أن يكون صاحب عقل ناقد.

هذه المعايير يسميها أهل العلم- الفقهاء-:

أصول النقد وقواعده عند الفقهاء:

أولاً: النصوص (القرآن الكريم- السنة النبوية):

أول معايير النقد وأصوله امتلاك النصوص والعلم بها، والعلم بالاستدلال عن طريقها، وما يصح منها في الدلالة، وما لا يصح، ولذلك اختلف أهل العلم، في مقدار ما يكون من هذه النصوص عند الفقيه صاحب العقل الناقد، فقال بعضهم: القرآن والكتب الستة مع الموطأ، وهذا مذهب المغاربة، وقال بعضهم: أقل ما يقال آيات الأحكام مع أحاديثه في الكتب الستة والموطأ، وهذا مذهب المشارقة مع العراقيين.

وكل هذا لأنه لا يتصور فقيه ناقد يبين الحسن من الرديء من الآراء، والمقبول منها والمردود، وليس عنده قدر من النصوص يحكم من خلالها على تلك الآراء ويقبل ويرفض بها.

ثانيًا: مواقف الصحابة رضي الله عنهم:

أي مواقف الصحابة من هذه الآيات، وكيف تعاملوا معها ومتى ولمن وبماذا وكيف وأين؟ أفتوا واستدلوا بهذه النصوص؟

لأنهم أعلم الناس باللغة العربية التي تؤهلهم لفهم النصوص على علمهم بمقاصد تنزيل القرآن وأسباب ورود السنة؛ ففتاويهم نماذج يصح للعقل الناقد السير على دربها فتكون بمثابة الدربة لتكوين الملكة الفقهية التي تعيهم الفقيه الناقد على عمله.

ثالثًا: القواعد الكلية:

وهي التي تعين الفقيه الناقد في جميع جزئيات كثيرة في قاعدة عامة تسمى: «كلية».

لكي يفتي وكأن هذه الجزئيات تجري بين عينيه في صورة هذه القاعدة الكلية.

رابعًا: جواز خطأ المجتهد:

من هذه المعايير اعتقاد أن المجتهد يجوز عليه الخطأ؛ لأنه ليس معصومًا من الخطأ.

فحين يعتقد ذلك يستطيع أن يضع رأي هذا المجتهد في ميزان النقد بهذه المعايير، ولا يفرض له العصمة في الرأي.

خامسًا: بناء الأحكام على الظن:

وهذا هو المعيار الخامس والأخير، وهو العلم بأن غالب أحكام الشريعة تُبْنَى على الظن لا اليقين.

ولقد وضحنا في مقال سابق أنواع الأحكام في الشرع، وأن غالبها يُبْنَى على الظن، مما يجعلها قابلة أن توضع في ميزان النقد لبيان صوابها من غيره.

هذه هي معايير أو أصول النقد أو قواعده عند الفقهاء، والتي بها يستطيع صاحب العقل الناقد أن يفقد الآراء ويبين صوابها من عدمه.

ثم يأتي دور السؤال الذي يفرض علينا نفسه بعد ذكر هذه المعايير والأصول والقواعد:

ما الذي يتم نقده بهذه المعايير؟

ومعنى السؤال أن هناك أكثر من اتجاه للنقد، فما هي اتجاهات النقد عند الفقهاء؟

أبرز الفقهاء للنقد اتجاهات في الفكر الفقهي، وهي:

الاتجاه الأول: نقد الأحكام والفتاوى:

من المقرر أن الفقيه يتَّجه إلى ناحية معينة لينقدها ويظهر صوابها من عدمه، ومن هذه الاتجاهات:

نقد الأحكام والفتاوى:

فقد يرى الفقيه أن الحكم أو الفتوى لا تصلح فيمكن أن يصح النقد ويظهر أن الحكم غير صحيح أو الفتوى غير صحيحة؟ فينبأ بالمعايير السابقة بيان ذلك.

الاتجاه الثاني: نقد التأصيل والتقعيد:

وهذا اتجاه ثان في النقد، يتجه فيه الفقيه إلى الأصول والقواعد التي نشأ عليها واستدل بها أصحاب الرأي المراد نقده؛ فينظر فيه ويصوب طرق الاستدلال من الأصول والقواعد

الاتجاه الثالث: نقد أسلوب الحكم وأسلوب الفتوى:

من المعلوم عند الأصوليين أن الفتوى إزالة إشكال عند المستفتي عن طريق المفتي. فمتى كانت الفتوى ستزيد من هذه الإشكالية عند المستفتي، فإن رأي الفقيه الناقد أن المفتي أخطأ وإن أصاب في فتواه،

الاتجاه الرابع: نقد الواقع البشري:

من المقرر أن الواقع يغير كلام المفتي، فإن كانت الفتوى غير ملائمة للواقع فإن الفقيه الناقد يضطر إلى نقد المفتي، وإن كانت فتواه تلائم واقعاً آخر.

الاتجاه الخامس: نقد الاستدلال:

الاستدلال: طلب الدلالة أو الحكم أو الفتوى؛ فإن سلك طريقًا في الاجتهاد لطلب الدلالة على استخراج حكم أو فتوى غير صحيح، هذا يجعل الفقيه الناقد أن يضع هذا في ميزان النقد لتصويبه.

الاتجاه السادس: نقد طرائق التدوين الفقهي:

مما هو معروف أن لطرق التدوين آلية حفظ المدوَن، فإن دَوَّنَ فقيه بطريقة لا تُستغل من بعده ولا يُستفاد منها، فهذا يجعل الناقد يصوب هذا الأمر.

الاتجاه السابع: نقد المؤهلات والصفات لدى الفقيه:

فإذا دخل فقيه في دائرة أحكام غير مؤهل لدخوله فيها؛ بأن كانت صفاته وآلياته لا تؤهله أن يجتهد في هذا، كفقيه مجتهد نسبي في مذهب معين، ويبدأ يقارن بين مذهبه والمذاهب الأخرى دون علمه بأصول المذاهب الأخرى وقواعدها، هذا يجعل الفقيه الناقد يفقد مؤهلات وصفات هذا الفقيه، ويوضح أنه غير مؤهل لدخوله في مثل هذا.

فهذه هي اتجاهات النقد عند الفقهاء قديمًا، ولمراعاة هذه الاتجاهات في الدراسات المعاصرة لا بد من الآتي:

أولاً: دراسة المذاهب الفقهية بلا تعصُّب.

ثانيًا: وضع أسس وقواعد لتدريس النقد الفقهي في مناهج التعليم لطلبة العلم الشرعي.

ثالثًا: التدرج العلمي التعليمي للفقه؛ لإتقانه إتقانًا جيدًا.

رابعًا: توجيه الطلاب لعمل بحوث علمية أكاديمية.

خامسًا: الحث على الاطلاع على أبحاث المجامع الفقهية ولجان الفتاوى ولجان التقييم للأبحاث الفقهية.

هذا، وقد وصلنا إلى نهاية الحديث عن العقل الفقهي الناقد ووظيفته، وبعض التوجيهات لتفعيله في الوقت الحاضر، ولعلنا نلتقي في الحديث عن عقل فقهي آخر، بإذن الله.

وصل اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم.

باب الفقه

ما يُفعل عقب الصلاة

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فمن المعلوم أن المساجد إنما بُنِيَتْ لعبادة الله تعالى، فالمساجد بيوت الله سبحانه وتعالى ولمكانتها وفضلها ذكرها الله سبحانه في ثمان وعشرين آية من كتابه الكريم، وأضافها إلى نفسه إضافة تشريف وتكريم، فقال سبحانه: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»؛ فالمساجد دُورُ عبادةٍ وذِكْر وتضرُّع وخضوع لله سبحانه، ومواضع تسبيح، وابتهال وتذلل بين يدي الله سبحانه واللبث في المسجد لأيِّ نوع من أنواع العبادة، كالصلاة وتلاوة القرآن أو الذكر أو الوعظ أو سماع العلم، ونحو ذلك من عمارة المساجد بالعبادة، مرغَّب فيه شرعًا، ويشهد لهذا: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة» متفق عليه.

أولاً: ما يُفعل عقبَ الصلاةُ:

أ- الجلوسُ فترةً عَقِبَ الصلاة:

يُستَحَبُّ للمصلي إذا خرج من صلاته بالتسليم أن يَمْكُثَ فترةً في مُصلاه؛ لما ورد في السنة ما يدل على فضل هذا المُكْث، ولا ينقطع هذا الفضل إلا أن يقوم من مقامه أو ينتقض وضوؤه، والأصل في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا صلى أحدكم، ثم جلس مجلسه الذي صلى فيه لم تَزَل الملائكة تصلي عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، ما لم يُحْدِث» رواه البخاري وابن خُزَيمة. وفي رواية أخرى لابن خُزَيمة «ما لم يُحْدِث أو يقوم».

ولما روى عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن العبد إذا جلس في مصلاه بعد الصلاة صلَّت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، وإن جلس ينتظر الصلاة صلت عليه الملائكة، وصلاتهم عليه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه» رواه أحمد.

وكفى باستجلاب دعوات ملائكة الله سبحانه بالمغفرة والرحمة فضلاً وخيرًا، فليُكثر المسلم من هذه الدعوات بالإكثار من المكث في مُصلاه بعد الصلاة.

ومن أكثر الصلوات استحبابًا إن كان المُكث في المصلى عقب صلاة الفجر؛ لما يشهد له من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدة المُثلى للمُكث أن يَلْبَث المُصَلِّي في مصلاه إلى أن تطلع الشمس وترتفع قليلاً، إلا أنْ تدعوه حاجةٌ للانصراف، لما روي مرفوعًا أن جابرًا بن سمرة سُئل «كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع إذا صلَّى الصبح؟ قال: كان يقعد في مصلاه إذا صلى الصبح حتى تطلع الشمس» رواه ابن خُزَيمة.

ورواه مسلم ولفظه «كان لا يقوم من مُصلاَّهُ الذي صلي فيه الصبح أو الغداة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت الشمس قام».

وفي رواية أخرى لمسلم من طريق جابر بن سمرة رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حَسَنًا». قوله حَسَنًا: أي طلوعًا حَسَنًا، أي تطلع وترتفع. فليُطِل المسلم المكث ما استطاع.

وأقل وقت يستحب للمُصلي المكث بعد الصلاة المفروضة أن لا يغادر مُصلاهُ قبل أن يمكث فترة تكفيه ليقول فيها (استغفر الله) ثلاثًا، و(اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام)؛ لما روى ثوبان رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام...» رواه مسلم.

وإذا كان المسجد أو المُصلَّى يجتمع فيه الرجال مع النساء فيُشرع للإمام أن يمكث في مكانه عقب الصلاة ويمكث معه المصلون فترةً؛ حتى تتمكن النساء من مغادرة المصلَّى قبل انصراف الرجال؛ حفظًا لهن وصونًا، والأصل في ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها «أن النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلَّم من الصلاة المكتوبة قُمْنَ، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثبت مَن صلَّى من الرجال ما شاء الله، فإذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قام الرجال» رواه أحمد والنَّسائي.

وقد ورد بيان ذلك في رواية البخاري فعن أم سلمة رضي الله عنها «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه، ومكث يسيرًا قبل أن يقوم. قال ابن شهاب: فأرى والله أعلم أن مكثه لكي ينفذ النساء قبل أن يدركهن مَن انصرف من القوم».

ووقع عند أحمد وأبي داود أيضًا عنها «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلَّم مكث قليلاً، وكانوا يرون أن ذلك كيما ينفذ النساء قبل الرجال».

ومما يختص به الإمام عن المأمومين أنه إذا جلس عقب الصلاة-طال جلوسُه أو قَصُر- استُحبَّ له أن يستقبل بوجهه المأمومين، وقد وردت السنة بذلك كالحديث الذي ورد عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى أقبل علينا بوجهه» رواه البخاري.

وقد ورد ما يدل على استحباب انحراف الإمام جهة ميمنته فعن البراء رضي الله عنه قال: «كنا إذا صلينا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم أحببنا أن نكون عن يمينه يُقبل علينا بوجهه، قال فسمعته يقول: رب قني عذابك يوم تبعث أو تجمع عبادك» رواه مسلم. ورواه أبو داود بدون ذكر الدعاء في آخره.

وعن يزيد بن الأسود رضي الله عنه قال: «صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان إذا انصرف انحرف» رواه أبو داود. قوله انصرف: أي خرج من الصلاة. وقوله انحرف: أي غيَّر اتجاهه الذي كان عليه في أثناء الصلاة ليضبح في مواجهة الناس.

ب- الانصراف عن اليمين والشمال

إذا انتهى المصلي من جلسته عقب الصلاة المفروضة التي جلسها للذكر والدعاء أو انصراف النساء قبل الرجال، ثم أراد أن ينصرف فإنه بالخيار بين أن ينصرف يمنةً وبين أن ينصرف يسرةً، فللمصلي أن ينفتل إلى جهة حاجته دون أن يتقيد بجهة دون جهة، والأصل في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائمًا وقاعدًا، ويصلي حافيًا ومنتعلاً، وينصرف عن يمينه وعن شماله» رواه النَّسائي.

وحديث هُلْب رضي الله عنه «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤُمُّنا، فينصرف على جانبيه جميعًا، على يمينه وعلى شماله» رواه الترمذي.

ورواه أبو داود وابن حبَّان بلفظ «وكان ينصرف عن شِقَّيْه». قال الترمذي (يُروى عن علي بن أبي طالب أنه قال: إن كانت حاجته عن يمينه أخذ عن يمينه، وإن كانت حاجته عن يساره أخذ عن يساره).

وروى أبو داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «لا يجعل أحدكم نصيبًا للشيطان من صلاته أن لا ينصرف إلا عن يمينه، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرَ ما ينصرف عن شماله، قال عمارة: أتيت المدينة بعدُ، فرأيت منازل النبي صلى الله عليه وسلم عن يساره».

ورواه مسلم بلفظ «لا يجعلنَّ أحدُكم للشيطان من نفسه جزءًا، لا يرى إلا أنَّ حقًّا عليه أن لا ينصرف إلا عن يمينه، أكثر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصرف عن شماله».

ويُجمع بين هذا وما قبله أن قوله: «أكثر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصرف عن شماله» لم يقْصد به الإحصاء وتغليبُ الانصراف عن الشمال على الانصراف عن اليمين، بقدر ما قُصد منه بيان أن الانصراف لم يكن تُلتَزَمُ فيه جهة اليمين، كما يقول بذلك عدد من الناس، استدلالاً بقول أنس رضي الله عنه «... أكثر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصرف عن يمينه» رواه مسلم. فقد جاءت رواية البخاري -وهو القمة بين المحدِّثين في الالتزام بألفاظ الحديث- هكذا «لا يجعلنَّ أحدُكم للشيطان شيئًا من صلاته، يرى أن حقًّا عليه أن لا ينصرف إلا عن يمينه، لقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم كثيرًا ينصرف عن يساره».

وهذا اللفظ أدقُّ من اللفظ الوارد في رواية مسلم وابن حبَّان والنَّسائي «أكثر ما رأيت... ينصرف عن شماله» ويمكن التوفيق بين رواية «أكثر ما رأيت ينصرف عن شماله»، وبين رواية «أكثر ما رأيت ينصرف عن يمينه»- وإن كان التوفيق بين هاتين الروايتين ليس مُهمًّا - بالقول: إن راوي الرواية الأولى ذكر ما شاهده، وإن ذلك كان يحصل في صلواته عليه الصلاة والسلام في مسجده بالمدينة؛ حيث كانت حُجُرات زوجاته واقعة إلى يسار المسجد، فكان ينصرف إلى جهة الشمال، فنقل ابن مسعود مشاهداته لذلك الانصراف، وقد جاءت الرواية صريحة بذلك في صحيح ابن حبَّان «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَّة ما ينصرف عن يساره إلى الحُجُرات».

وأما راوي الرواية الثانية فذكر ما شاهده، وأنه رأى الرسول صلى الله عليه وسلم يُكثر من الانصراف عن اليمين، ويمكن حمله على أن ذلك كان يحصل منه صلى الله عليه وسلم عندما لم يكن يُصَلِّي في مسجده بالمدينة، أو لم يكن يريد صلى الله عليه وسلم الانصراف إلى حجراته عقب صلواته، فكان ينصرف عن اليمين؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يحب التيامن في سائر أموره. وعلى أية حال فإنَّ هذا الأمر واسع.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

نظرات في كتاب

نظرات في كتاب الرسالة للشافعي (٢)



إعداد / الشيخ محمد عبد العزيز

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ»، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد:

فهذا هو المقال الثاني تحت هذا العنوان: نظرات في كتاب الرسالة للشافعي، وكان المقال الأول كالتوطئة لهذا الموضوع، وهذا المقال يمتد أيضًا للحديث عن ناصر السنة، وفقيه الملة، وسيد الفقهاء الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، أتناول فيه ستة أمور باختصار:

- اسمه، ونسبه.
- نشأته، ومولده.
- سبب طلبه لعلم الفقه.
- مذهب الشافعي القديم.
- مذهب الشافعي الجديد.
- ثناء العلماء عليه، ووفاته.

اسمه، ونسبه:

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

ونسبه يتصل بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الانتهاء إلى عبد مناف.

وقد أسلم جده السائب يوم بدر، وكان من أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في الصورة والخلقة، فالسائب صحابي وعبد الله بن السائب أخو شافع بن السائب صحابي، وابنه شافع: له رؤية، وهو معدود في صغار الصحابة، وولده عثمان تابعي، وهو قرشي.

وأم السائب هي الشفاء بنت الأرقم بن هاشم بن عبد مناف، وأم الشفاء: خليدة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وأم عبد يزيد الشفاء بنت هاشم بن عبد مناف.

فالشافعي نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وناصر سنته، فهو ابن عم رسول الله، وابن عمته لأن المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، والشفاء بنت هاشم أخت المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إنما بنو هاشم، وبنو المطلب شيء واحد، لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام». (أخرجه البخاري في المناقب: باب مناقب قريش). (سير أعلام النبلاء ٩/١٠،

وإرشاد الطالبين إلى المنهج القويم، ص ٢٣ إلى ٢٨).

نشأته ومولده:

وُلد بغزة من أرض الشام، على الصحيح، وقيل: بعسقلان، وقيل: باليمن، عام ١٥٠ هـ، وهي السنة التي توفي فيه الإمام أبو حنيفة النعمان، ومات أبوه إدريس شابًا، فنشأ الشافعي يتيمًا في حجر أمه في قلة عيش وضيق حال، فلما خافت عليه الضيعة تحولت به إلى مكة، وهو ابن سنتين، فحفظ القرآن وله من العمر سبع سنين، وقد قرأه على إسماعيل بن قسطنطين، وقرأ إسماعيل على شبل، وأخبر شبل أنه قرأ على عبد الله بن كثير، وقرأ عبد الله على مجاهد، وأخبر مجاهد أنه قرأ على ابن عباس، فهو علي هذا في طبقة شيوخ راويي ابن كثير قنبل والبزي وقد حفظ الموطأ، للإمام مالك وهو ابن عشر سنين.

وقد شرع بعد ذلك في طلب العلم على ضيق في سعة اليد، قال الحميدي: سمعت الشافعي يقول: كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم، وكان المعلم قد رضي مني أن أقوم على الصبيان إذا غاب، وأخفف عنه.

وعن الشافعي، قال: "كنت أكتب في الأكتاف والعظام، وكنت أذهب إلى الديوان، فأستوهب الظهور، فأكتب فيها".

سبب طلبه لعلم الفقه:

كان الشافعي رحمه الله تعالى محبًا للغة والأدب، فأقبل على الأدب والعربية والشعر، فبرع في ذلك، ثم إنه طلب ما هو خير من ذلك، عن الحميدي قال: قال الشافعي: خرجت أطلب النحو والأدب، فلقيني مسلم بن خالد الزنجي، فقال: يا فتى، من أين أنت؟

قلت: من أهل مكة.

قال: أين منزلك؟

قلت: بشعب الخيف.

قال: من أي قبيلة أنت؟

قلت: من عبد مناف.

فقال: بخ بخ، لقد شرفك الله في الدنيا والآخرة، ألا جعلت فهمك هذا في الفقه فكان أحسن لك؟! (طبقات الفقهاء، للشيرازي، ص٧٢).

وقد تفقه الشافعي رحمه الله تعالى على جماعات منهم: أبو خالد مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة وإمام أهلها، وتفقه مسلم على أبي الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وتفقه ابن جريج على أبي محمد عطاء بن أسلم أبي رباح، وتفقه عطاء على أبي العباس عبد الله بن عباس، وأخذ ابن عباس عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وعن عمر بن الخطاب، وعلي، وزيد بن ثابت، وجماعات من الصحابة، رضى الله عنهم، عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

وقد أذن له شيخه مسلم بن خالد في الإفتاء، وله دون العشرين سنة.

فلما أخذ الشافعي رحمه الله في الفقه، وحصل منه على مسلم بن خالد الزنجي وغيره من أئمة مكة ما حصل، رحل إلى المدينة قاصدًا الأخذ عن أبي عبد الله مالك بن أنس إمام المدينة، وقرأ الموطأ على مالك حفظًا، فأعجبته قراءته، فكان مالك يستزيده من القراءة لإعجابه من قراءته، قال الشافعي: قدمت على مالك بن أنس، وقد حفظتُ "الموطأ"، فقال لي: أحضرُ من يقرأ لك، فقلت: أنا قارئ، فقرأت عليه "الموطأ" حفظًا، فقال: إن يكُ أحدٌ يفلح، فهذا الغلام.

ولازم مالكًا فقال له: اتق الله، فإنه سيكون لك شأن، وفي رواية أنه قال له: إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نورًا فلا تطفئه بالمعصية.

وقد تفقه مالك بن أنس على ربيعة بن عبد الرحمن، وتفقه ربيعة بن عبد الرحمن على أنس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتفقه مالك أيضًا على نافع، عن ابن عمر، وكلاهما ـ أنس، وابن عمر ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد صاحب الشافعي الإمام مالك حتى توفي في المدينة، ثم ولي باليمن واشتهر من حسن سيرته، وحمله الناس على السنة والطرائق الجميلة أشياء كثيرة معروفة.

وقد سمع بالمدينة من إسماعيل بن جعفر، وجماعته.

ومن شيوخه: سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عمر، وابن عباس، رضى الله عنهم

وكلاهما - ابن عباس، وابن عمر- عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد استفاد من محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام أبي حنيفة، قال الشافعي: كتبت عنه وقر بختي(أي: حمل جمل خرساني) وما ناظرت سمينا أذكى منه، ولو أشاء أن أقول: نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن، لقلت؛ لفصاحته.

وقد نظر الشافعي في كتب محمد بن الحسن نظر المتعلم الناقد البصير، قال أحمد بن أبي سُريح: سمعت الشافعي، يقول: أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين دينارًا، ثم تدبرتها، فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثا، يعني ردًا عليه.

وقد كان محمد بن الحسن له محبًا معظمًا، قال أبو حسان الزيادي: ما رأيت محمدَ بنَ الحسن يعظم أحدًا من أهل العلم تعظيمَه للشافعي، ولقد جاءه يومًا، فلقيه وقد ركب محمد بن الحسن، فرجع إلى منزله، وخلا به يومه إلى الليل، ولم يأذن لأحد عليه.

وقد تفقه محمد بن الحسن الشيباني، على أبي يوسف وأبي حنيفة، وقد أخذ أبو حنيفة عن حماد بن أبي سليمان، عن إبراهيم النخعي، عن علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

مذهب الشافعي القديم:

قدم الشافعي إلى بغداد سنة ١٩٥ هـ وله من العمر خمس وأربعون عامًا، وبقي فيها عامان، وفيها أسس مذهبه القديم.

قال الزعفراني: قدم علينا الشافعي بغداد سنة خمس وتسعين ومائة، فأقام عندنا سنتين، ثم خرج إلى مكة، ثم قدم علينا سنة ثمان وتسعين ومائة.

قال أبو الفضل الزجاج: لما قدم الشافعي إلى بغداد وكان في الجامع إما نيّف وأربعون حلقة أو خمسون حلقة، فلما دخل بغداد ما زال يقعد في حلقة حلقة ويقول لهم: قال الله وقال الرسول.

وهم يقولون: قال أصحابنا، حتى ما بقي في المسجد حلقة غيره. (تاريخ بغداد ٤٠٤/٢).

وقد لُقِّبَ الشافعي في العراق بناصر الحديث.

وغلب في عرف العلماء المتقدمين والفقهاء الخراسانيين على متبعي مذهبه لقب أصحاب الحديث.

وقد اجتمع للشافعي في هذا الوقت علما أهل الحديث وأهل الرأي، وتنقح في ذهنه مذاهب العلماء المعاصرين له والسابقين فتهيأ له وضع مذهبه القديم.

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات (٤٩/١): «جاء (يعني الشافعي) بعد أن مُهِّدت الكتب، وصُنِّفت، وقُرِّرَتْ الأحكام. ونُقِّحت؛ فنظر في مذاهب المتقدمين، وأخذ من الأئمة المبرَّزين، وناظر الحُذّاق المتقنين، فبحث مذاهبهم وسَبَرَهَا وتحققها وخَبَرَها، فلخَّص منها طريقة جامعة للكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس.

ولم يقتصر على ذلك كما وقع لغيره، وتفرغ للاختيار والتكميل والتنقيح مع كمال قوته وعلو همته وبراعته في جميع أنواع الفنون، واضطلاعه منها أشد اضطلاع.

وهو المُبَرَّز في الاستنباط من الكتاب والسُّنَّة، البارع في معرفة الناسخ والمنسوخ، والمجمل والمبين، والخاصّ والعامّ، وغيرها من تقاسيم الخطاب، فلم يسبقه أحدٌ إلى فتح هذا الباب؛ لأنه أول من صنَّف أصول الفقه بلا اختلاف ولا ارتياب، وهو الذي لا يساوى، بل لا يداني في معرفة كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وردّ بعضها إلى بعض، وهو الإمام الحجة في لغة العرب ونحوهم، فقد اشتغل في العربية عشرين سنة مع بلاغته وفصاحته، ومع أنه عربي اللسان والدار والعصر، وبها يعرف الكتاب والسنة».

وقد صنف في العراق كتابه القديم المسمى كتاب "الحجة"، وهذا الكتاب يرويه عنه أربعة من كبار أصحابه العراقيين، وهم: أحمد بن حنبل، وأبو ثور، والزعفراني، والكرابيسي، وأتقنهم له رواية الزعفراني.

وفيها صنف رسالته القديمة كما تقدم في آخر المقال السابق بطلب من عبد الرحمن بن مهدي، قال علي بن المديني: قلت لمحمد بن إدريس الشافعي: أجب عبد الرحمن بن مهدي عن كتابه فقد كتب إليك يسألك وهو متشوِّق إلى جوابك قال: فأجابه

الشافعي، وهو كتاب الرسالة التي كتبت عنه بالعراق، وإنما هي رسالته إلى عبد الرحمن بن مهدي. (الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ص٧٣).

وقد طلب ابن مهدي من الشافعي أن يضع له كتابًا فيه: معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة. (تاريخ بغداد ٤٠٤/٢).

فأجابه الشافعي لما أراد وحمل الرسالة الحارث بن سريج النقال - بالنون - أبو عمرو الخوارزمي ثم البغدادي، وقد سُمي النقال لنقله رسالة الشافعي لابن مهدي.

قال الحارث: لما حملت الرسالة إلى عبد الرحمن بن مهدى جعل يتعجب، ويقول: لو كان أقل لنفهم، لو كان أقل لنفهم.

وكان عبد الرحمن بن مهدي يقول: لما نظرت في كتاب الرسالة لمحمد بن إدريس أذهلتني لأنني رأيت كلام رجل عاقل فقيه ناصح وإني لأكثر الدعاء له. (تاريخ دمشق، لابن عساكر ٣٢٤/٥١).

مذهب الشافعي الجديد:

عاد الشافعي إلى بغداد بعد سفرته الأولى منها إلى مكة عام: ١٩٨هـ، ومكث فيها أشهرًا ثم رحل إلى مصر مع عبد الله بن العباس بن موسى الهاشمي عام: تسع وتسعين ومائة (١٩٩ هـ) لما تاقت نفسه لدخولها واستوطنها ومات فيها، عن الربيع، قال: سمعت الشافعي، يقول في قصة ذكرها: "لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر. لَقَد أَصبَحَت نَفسي تَتوقُ إِلى مِصرِ. وَمِن دونِها أَرضُ المَهامَةِ وَالقَفرِ. فَوَاللهِ لا أدري أَلِلفَوزِ وَالغِنَى. أُساقُ إِلَيها أَم أُساقُ إِلى القَبرِ. (تاريخ بغداد ٤٠٤/٢).

وفي مصر وضع الشافعي مذهبه الجديد، وصنَّف فيه سائر كتبه، وأعاد فيها تصنيف الرسالة، وذلك في أربع سنين، فمن كتبه تلك: كتاب الرسالة الجديدة، وكتاب اختلاف الأحاديث، وكتاب جماع العلم، وكتاب إبطال الاستحسان، وكتاب أحكام القرآن، وكتاب بيان فرض الله عز وجل، وكتاب صفة الأمر والنهي، وكتاب اختلاف مالك والشافعي، وكتاب اختلاف العراقيين، وكتاب الرد على محمد بن الحسن، وكتاب الأم، وغيرها.

ثناء العلماء عليه:

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي فإني أسمعك تكثر من الدعاء له؟ فقال لي: "يا بُنَيَّ كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خلف أو منهما عوض؟!"

وقال يحيى بن معين: "كان أحمد بن حنبل ينهانا عن الشافعي، ثم استقبلته يومًا والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه. فقلت: يا أبا عبد الله: تنهانا عنه وتمشي خلفه. فقال: اسكت، لو لزمت البغلة انتفعت.

وعن الحسين بن محمد الكرابيسي قال: ما رأيت مجلسًا أنبل من مجلس الشافعي، كان يحضره أهل الحديث، وأهل الفقه، والشعر، وكل يتعلم منه ويستفيد.

وقال أيضًا: ما رأيت مثل الشافعي، ولا رأى الشافعي مثل نفسه.

وعن أبي ثور قال: لو لم يقدم علينا الشافعي للقيت الله ضالاً.

وقال أحمد بن علي الجرجاني: كان الحميدي إذا جرى عنده ذكر الشافعي قال: حدثنا سيد الفقهاء الإمام الشافعي.

وقد عُدَّ الشافعي رحمه الله تعالى مُجدِّد المائة الثانية، عن عبد الملك الميموني، قال: كنت عند أحمد بن حنبل، وجرى ذكر الشافعي، فرأيت أحمد يرفعه، وقال: يروى عن النبي، صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَن يقرر لها دينها»، فكان عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه على رأس المائة، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى.

وفاته:

توفي أبو عبد الله ليلة الخميس، وقيل ليلة الجمعة، ليوم بقي من شهر رجب سنة أربع ومائتين، وله أربع وخمسون عامًا.

وقد آن لي أن أضع القلم على تقصيري في ترجمة هذا الإمام الفذ، لكن حسبي أن يقال في الشافعي: هو الشافعي فهو أشهر في الدنيا من أن يُعرف به، وإلى لقاء قريب بإذن الله أفرده لكتاب الرسالة.

الحلقة الثانية

إعلام المسلمين والمسلمات بما جاء في العقارب والحيات

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تعبد..

أما بعد، فما يزال حديثنا موصولاً عما جاء في العقارب والحيات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

الوقفة السادسة: الجن والحيات

أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بأن هناك علاقة بين الجن والحيات، وذلك من ناحيتين:

الناحية الأولى: أن بعض الجن يتشكلون في صورة حيات:

فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الجنُّ ثلاثةُ أصناف: فصنفٌ لهم أجنحةٌ يطيرون بها في الهواء، وصنفٌ حيَّاتٌ وكلابٌ، وصنفٌ يحلُّون ويظعَنون». (أورده السيوطي في الجامع الصغير، وصححه الألباني)

قال السيوطي - رحمه الله - في « لقط المرجان في أحكام الجان »: «وقال القاضي أبو يعلي: ولا قدرة للشياطين على تغيير خلقهم، والانتقال في الصور، وإنما يجوز أن يعلمهم الله تعالى كلمات وضربا من ضروب الأفعال، فإذا فعله وتكلم به نقله الله من صوت إلى صوت، فيقال أنه قادر على التصوير والتخييل، على معنى أنه قادر على قول، إذا قاله، وفعله، وتكلم به نقله الله من صورة إلى صورة أخرى بجري العادة. وأما إذا تصور نفسه فذلك محال؛ لأن انتقالها من صورة إلى صورة إنما يكون بنقض البنية وتفريق الأجزاء، وإذا انتقلت بطلت الحياة واستحال وقوع الفعل من الجملة. فكيف تنقل نفسها؟» اهـ.

الناحية الثانية: أن بعض الجن مسخن إلى حيات:

فعن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحيَّاتُ مِن مسخِ الجانِّ كما مُسخَت الخنازيرُ والقردةُ». (رواه ابن حبان وصححه شعيب الأرناؤوط»

وعن عبدالله بن عباس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الحيَّاتُ مَسْخُ الجنِّ صورةً، كما مُسِخَتْ القردةُ والخنازيرُ من بَني إسرائيلَ». (أورده السيوطي في الجامع الصغير وصححه الألباني).

وقد اختلف العلماء في مسألة «هل الحيات الموجودة الآن هي نسل الجان الممسوخ، أم لا؟ وذلك على اعتبار هل ينسل الممسوخ - أي يتناسل، ويتكاثر في صورته الممسوخة - أم لا؟

قال القرطبي - رحمه الله - في « تفسيره»: «واختلف العلماء في الممسوخ هل ينسل على قولين. قال الزجاج: قال قوم: يجوز أن تكون هذه القردة منهم. واختاره القاضي أبو بكر بن العربي. وقال الجمهور: الممسوخ لا ينسل، وإن القردة والخنازير وغيرهما كانت قبل ذلك،

والذين مسخهم الله قد هلكوا ولم يبق لهم نسل؛ لأنه قد أصابهم السخط والعذاب، فلم يكن لهم قرار في الدنيا بعد ثلاثة أيام. قال ابن عباس: لم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل. قال ابن عطية: وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أن الممسوخ لا ينسل، ولا يأكل ولا يشرب ولا يعيش أكثر من ثلاثة أيام. قلت: هذا هو الصحيح من القولين» اهـ.

وجمهور أهل العلم على أن الممسوخ لا ينسل، وقد استدلوا بمعارضة أحاديث مسخ الجان لحيات، بما رواه مسلم عن ابن مسعود- رضي الله عنه - قال: «قال رجل: يا رسول الله القردة والخنازير هي مما مُسخ؟ فقال النبي- صلى الله عليه وسلم-: إن الله لم يجعلْ لمسخ نسلاً ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك».

وممن أيَّد هذا الرأي الشيخ الألباني - رحمه الله - في « السلسلة الصحيحة » حيث قال: «اعلم أن الحديث لا يعني أن الحيات الموجودة الآن هي من الجن الممسوخ، وإنما يعني أن الجن وقع فيهم مسخ إلى الحيات، كما وقع في اليهود مسخهم قردة وخنازير، ولكنهم لم ينسلوا كما في الحديث الصحيح: « إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقبًا، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك». اهـ.

وذهب البعض الآخر إلى أن الممسوخ ينسل، وأن اللام هي لام العهد أي: الحيّات المعهودة الموجودة. وجمعوا بين أحاديث مسخ الجان لحيّات، وحديث أن المسخ ليس له نسلٌ، ولا عَقِبٌ، بأن خصّصوا عموم حديث ابن مسعود فيستثنى منه خصوص الحيّات على ما في حديث ابن عباس؛ فيكون مسخ الجن مستثنى من قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يجعلْ لمسخ نسلاً ولا عقبًا» أو يكون حديث الذين لم يجعل الله لهم عقبًا ولا نسلاً هم مسخ الأمم الكافرة السابقة من بني آدم كبني إسرائيل وغيرهم.

ومما يؤيد هذا الجمع قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما سالمناهن منذ حاربناهن» فإنه إنما يحارب الكفرة وليسوا هنا إلا كفرة الجن. ففي مسلم مرفوعًا: «إن لهذه البيوت عوامر فإذا رأيتم شيئا منها فحرجوا عليها ثلاثا فإن ذهب وإلا فاقتلوه فإنه كافر».

الرأي الراجح:

هو الرأي الأول أن الممسوخ ليس له نسلٌ، ولا عَقِبٌ، وأن الحديث لا يعني أن الحيات الموجودة الآن هي من الجن الممسوخ، وإنما يعني أن الجن وقع فيهم مسخ إلى الحيات، وهو ما أيده الألباني - رحمه الله - كما سبق ذكره آنفا.

الوقفة السابعة: الاستعاذة من شر الحيات

ولخطورة الحيات والعقارب على بني آدم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا - أشد الحرص - على الاستعاذة بالله من شرهما.

فعن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: «كان رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلمَ إذا غزا أو سافر فأدركه اللَيلُ قال: يا أرضُ ربِّي وربُّكِ اللَّه أعوذُ باللَّه من شرِّكِ وشرِّ ما فيكِ وشرِّ ما خُلِقَ فيكِ وشرِّ ما دَبَّ عليكِ أعوذُ باللَّه من شرِّ كلِّ أسدٍ وأسود وحيةٍ وعقربٍ ومن شرِّ ساكنِ البلدِ ومن شرِّ والدٍ وما ولدَ». (رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر).

قال علي بن سلطان محمد القاري - رحمه الله - في « مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح »: «(ومن الحية) تعميم بعد تخصيص، وقول الطيبي: من في قوله من الحية بيانية إنما يستقيم لو لم تكن الواو العاطفة داخلة عليها ولكنها موجودة في النسخ المصححة والأصول المعتمدة.

(والعقرب) وفي معناها سائر الهوام السميات (ومن شر ساكن البلد) قيل: الساكن هو الإنس سماهم بذلك لأنهم يسكنون البلاد غالبا، أو لأنهم بنوا البلدان واستوطنوها، وقيل: الجن، والمراد بالبلد الأرض قال تعالى: «والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه» وفي نسخة ساكني البلد بصيغة الجمع مضافا.

(ومن والد) أي: آدم أو إبليس (وما ولد) أي:

ذريتهما، وقيل: هما عامَّان لجميع ما يوجد في التوالد من الحيوانات، وفيه تنبيه على أن العياذ إنما يفيد ويحسن إذا كان بمن لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (رواه أبو داود) وكذا النسائي والحاكم». اهـ.

الوقفة الثامنة: الاستعاذة من الموت بلدغ الحيات

وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من بعض الموتات، منها الموت بلدغ الحية، وعلى المسلم أن يتأسى به صلى الله عليه وسلم في الاستعاذة منها.

فعن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «استعاذ من سبع موتاتٍ موت الفجْأة، ومن لدغ الحيَة، ومن السبع، ومن الحرق، ومن الغرق، ومن أن يخر على شيء، أو يخرّ عليه شيء، ومن القتل عند فرار الزحف». (رواه أحمد، وصححه أحمد شاكر).

وعن أبي اليسر كعب بن عمرو أنَّ رسولَ الله صلَّى اللّه عليه وسلَّمَ كانَ يدعو «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ منَ الهدمِ وأعوذُ بكَ منَ التَّردِّي وأعوذُ بكَ منَ الغرقِ والحرَقِ والهرمِ وأعوذُ بكَ أن يتخبَّطني الشَّيطانُ عندَ الموتِ وأعوذُ بكَ أن أموتَ في سبيلِكَ مدبرًا وأعوذُ بكَ أن أموتَ لديغًا» وفي رواية بزيادة «والغمّ». (رواه أبو داود وصححه الألباني).

جمع الحديثان بين الاستعاذة من نوعين من المكروهات والمصائب:

الأول: أمور هي شر محض في جميع الأحوال: كتخبط الشيطان للإنسان عند الموت، وأن يموت المرء مدبرا في سبيل الله.

والثاني: أمور هي من المصائب ولكن جاءت الأحاديث بأن من مات بها كان له أجر الشهداء. ولذا، فقد استشكل العلماء الاستعاذة من هذه الأمور التي هي سبب الشهادة - كالموت بالهدم، والحرق، ولدغ ذوات السموم - وقد أجاب العلماء عن هذا الاستشكال بما مضمونه أن هذه الأمور مجهدة مقلقة، فربما إذا أصيب الإنسان بها لا يصبر عليها ويصيبه الجزع والتسخط بذلك فيختم له بالسوء.

قال التوربشتي - رحمه الله- في «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»: «إنما استعاذ من هذه البليات مع ما وعد عليها من الشهادة، لأنها محن مجهدة مقلقة لا يكاد واحد يصبر عليها ويثبت عندها أو يذكر عند حلولها شيئًا مما يجب عليه في وقته ذلك، وربما ينتهز الشيطان منه فرصة لم يكن لينال منه في غيرها من الأحوال، أي فيحمله على ما يضر بدينه، ثم إنها تفجأ عليه فتتضمن الأسباب التي ذكرناها في موت الفجاءة». اهـ.

الوقفة التاسعة: لم يسلم أحد من لدغ ذوات السموم

وحينما تجد الحيات، والعقارب، الفرصة سانحة لمهاجمة البشر، لا تدعها، ولا تفرق بين صغير، وكبير، أو رجل، وامرأة، أو شريف، ووضيع، فلم يسلم من لدغتها أحد حتى الأنبياء، والصحابة.

فلم يسلم الأنبياء من اللدغ:

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: «لدغت النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّمَ عقربٌ وهوَ في الصَّلاة فقالَ لعنَ الله العقربَ ما تدعُ المصلِّيَ وغيرَ المصلِّي اقتلوها في الحل والحرم». (رواه ابن ماجه، وصححه الألباني)

ولم يسلم الصحابة من اللدغ:

فعن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال: «هاجر خالدُ بنُ حزام إلى أرض الحبشة، فنهشتْهُ حيَّةٌ في الطريق فمات، فنزلت فيه: «وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِه مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُوله ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا» (النساء: ١٠٠)، قال الزبيرُ بنُ العوام: وكنتُ أتوقَّعُه وأنتظرُ قدومَه وأنا بأرض الحبشة، فما أحزنني شيءٌ حُزني على وفاته حين بلغني؛ لأنَّه قلَّ أحدٌ ممن هاجر من قريش إلا معه بعضُ أهله أو ذي رحمه، ولم يكن معي أحدٌ من بني أسد بن عبد العُزَّى، ولا أرجو غيرَه». (رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، وحسنه الألباني.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.


التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٦ مجلدة
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
ثمن الكرتونة
١٠٥٠ جنيه
مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها!
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
لا يستغني عنها بيت مسلم
الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي
للاستفسار.. يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
23936517